بحث محكم | قسم الدراسات الدينية | 29 مايو 2023

الاضطهاد الدِّينيّ في الفكر المسيحيّ

منذ قسطنطين الأوّل حتّى نشأة محاكم التفتيش المقدّسة



طارق بوسفّة
باحث تونسي

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
www.mominoun.com للدراسات والأبحاث

ملخص:

لم تكُن مُشكلةُ الحريّة الدِّينيّة في تاريخ الفِكر الإنسانيّ مسألةً خاصّةً بِدِينٍ مُعيّنٍ من الأديان أو بحضارة من الحضارات، بل هي مسألةٌ ضاربةٌ في القدم نلاحظُ أنّها كانت تتّسِمُ بسجلات فِكريّة مُختلفةٍ حتّى قبل ظُهور التّاريخ الميلاديّ. وإذا ما انتقلنا إلى الأديانِ التّوحيديّة، فإنّنا سنجدُ المُقاربة نفسها تقريبًا. فالحرّيّة الدِّينيّة قضيّةٌ طُرِحَت في العهدين القديم والجديد، مثل ما طُرِحت من بعدها في الإسلام قرآنا وسُنّةً. والمتأمّل في الشّرائع والتّعاليم الّتي سنّها الفُقهاء وعُلماء اللاّهوت في الأديانِ السّابقة، يُلاحظُ أنّ كلّ فكر دينيّ منها يدَّعي أنّه يملك الحقيقة الدينيّة المطلقة الّتي لا جدال فيها، ويعتبرُ أنّ المُختلف عنه في العقيدة، بناءً على هذه القاعدة، لا يمكن أن يكون إلاّ كائنًا هرطوقيًّا تائها في الضّلالِ، أو مجرّد كافرٍ أو مبتدع أو مرتدٍّ يمثلُ خطرًا على سائر الجسد الاجتماعيّ خُصوصا إذا كان متواجدًا بين المؤمنين. وعندئذٍ، وربما لهذا السبب بالذّات، تصبحُ ملاحقتهُ أمرًا اضطراريّاً ليس متعلقا بالضمير فحسب، بل باسم الضرّورة الاجتماعيّة قلبًا وقالبًا.

ولقد اخترنا أن نقِف في هذا البحث عند الجذور التاريخيّة لقصّة الاضطهادِ الدِّيني في المسيحيّة منذ فترة حكم قسطنطين الأوّل وُصولا إلى الفترة الزمنيّة التي نشأت فيها محاكمِ التفتيش المقدّسة في القرُون الوسطى، رغبةً منّا في اكتشاف الدوافعِ الأساسيّة الّتي كانت وراء الاضطهاد الدِّيني في الفكر المسيحيّ من جهةٍ، وإيمانا منّا أنّ هذه المسألة لازالت في حاجةٍ إلى العديد من الدِّراسات الّتي تنظرُ فيها من زوايا فكريّة مختلفةٍ؛ فما مِن قارئ قرأ عن تاريخ المسيحيّة إلاّ وسمِع بمحاكم التّفتيش المقدّسة، وعن جعلِ التّعذيب بالنّار مُمارسةً قانونيّة يُنكّل بها كلّ مُخالف وخارجٍ عن تعاليم الفكر الكَنسيّ.

وأيّا يكن في الأمر من شيء، فإنّ بحثنا يرومُ الوقوف عند الأسباب الحقيقيّة لمُلاحقة المرتدين والهراطقة والملاحدة في الفكر الدِّيني المسيحيّ من خلال الاعتماد على منهجٍ تحليلي نقديّ حاولنا فيه تقسيم عملنا إلى أربعة عناصر: عنصر أولّ ارتأينا فيه رصد الجذور التاريخيّة لقصّة الاضطهاد العقائدي قبل الأديان التوحيدية، وعنصر ثان وقفنا عنده بصفةٍ موجزة على جُملة من المفاهيم الّتي تتنزلُّ صلب المسألةِ، وعنصر ثالث حدّدنا فيه أهمّ مصادر التشريع المتعلّقة بالاضطهادِ العقائدي والدِّيني في الفكر المسيحيّ، وعنصر رابع تطرقنا فيه إلى مراحل اضطهاد الأباطرة للملاحدة والهراطقة والمبتدعة والمرتدِّين في القرون الأولى، ليكون العنصر الخامس والأخير جوهرًا في البحث، وفيه وقفنا عند أبرز محطات الاضطهاد في القرون الوسطى، وهي الفترة الّتي نشأت فيها محاكم التفتيش المُقدّسة.

1- تمهيد

إنّ النّاظر في الجُذور التّاريخيّة لحكم الرِدّة والإلحاد يُلاحظ أنّ الشّريعة المسيحيّة والشّريعة الإسلاميّة لمْ تنفردا بمُعاقبة المُرتدِّ والمُلحد، «فقدْ كانت قوانينُ اليُونان ترى المُروق من الدِّين أي الامتِناع عن عبادة الآلهة اليُونانيّة جريمة كُبرى يُعاقبُ عليها بالإعدام»[1]. وتذكرُ لنا بعض المراجع أنّ «انتقاد العبادة الدِّينيّة الّتي كانت تُقرُّ بها رسميّا المدينة اليونانيّة أو الإمبراطوريّة الرّومانيّة وانتقاد أساليب تصوير الآلهة وإكرامها، وانتقاد تمثيلها على حسب صورة الإنسان، كانت عاقبتهُ الرّشقُ بالإلحاد والملاحقة القانونيّة»[2]. ومن جُملة هذه الإجراءات نذكرُ القانون الّذي حكَم على سقراط (ت399ق.م) Socrate بالموت[3]؛ إذ اُعتبر في نظر أهل أثينا كافرا كُفرا عظيما»[4]. علاوة على ذلك، فإنّ النّاظرُ في تاريخ رُوما القديمة، يُدرك أنّه قد كان للآلهة حُلفاء من الدّولة وأصدقاء أوفياء لها. ولقد كان الخُروج عنهم أو التّجدِيف في حقِّهم «من جرائم الخيّانة العُظمى الّتي يُعاقب عليها بالإعدام، فإذا لمْ يُوجد مَن يتقدّم باتِّهام المُذنب استدعى القاضي الرُّوماني نفسهُ هذا المتّهم، وقامَ بتحقِيق القضيّة ومن هذا الإجراء أخذت محكمة التّفتيش أو التّحقيق في العُصور الوُسطى شكلها أو اسمها»[5].

وطبّق الرُّوم أيضا القوانين الرّومانيّة في العالم البيزنطيّ فحكمُوا بالإعدام على المانويّين وغيرهم من المارقين عن الدّين. بالإضافة إلى ذلك، فقدْ كان في الإمبراطورية الساسانية خسروا الأوّل(501-579) Khosro I والمعرُوف عند اليونان باسم كسروس وعند العرب باسم كسرى يُعاقب المرتدّين عن الدِّين بالإعدام[6]. والظاهرُ ممّا تقدّم لنا من معطيات، أنّ عِقاب المُرتدِّ أو المُلحد لمْ يكن أمرا مُقتصرا على الدِّيانات السّماويّة فقط؛ فالحُكمُ واردٌ تاريخيًّا في الحِقبة اليونانيّة وغيرها من الفترات الأخرى الّتي عرفها تاريخ البشريّة على مرِّ العُصور. فلقدْ مارست الدِّيانة اليهوديّة ما اضطلعت به بعض القوانين القدِيمة من إجراءات ضدّ المروق عن الدِّين، ولمْ يشُذ الفكر المسيحيّ بدوره عن طرح هذه المسائل المُتصلة بحرِّيّة المُعتقد في

1- ويل ديورانت، قصّة الحضارة، تقديم الدكتور محي الدِّين صابر، ترجمة الدكتور: زكي نجيب محفوظ، ط1، المجلد الرابع الجزء الخامس، بيروت- لبنان، دار الجيل، 1992، ص91.

2-عادل تيُودُور خوري ومُسير باسيل عُون، علم الأصول اللاهوتيّة، ط1، الجزء الأوّل، بيروت- لبنان، منشورات المكتبة البولسيّة، 2000، ص117.

3- حتّى قبل ظهور الدِّيانة المسيحيّة اتهم الإغريق عددًا من فلاسفتهم وأدبائهم ومُفكريهم بالهرطقة نذكرُ منهم الفيلسوف سُقراط الذي حُكِم عليه بالموت بشرب السّم عام (399ق م) فضلاً أنّ الأثينيّين ألصقوا تُهمة الهرطقة بعددٍ من الأدباء والفنانين مثل النّحاة فيدياس (المولود نحو عام307ق.م).ويُمثّلُ أفلاطون ذروة التشدّد في المُطالبة بمُعاقبة المروق الدِّيني فنحنُ نراه في جمهوريته يدْعو إلى ضرورة إعدام كل من يتجرأ ويتطاول على الآلهة. **يُنظر في: رمسيس عوض، الإلحاد في الغرب، ط1، القاهرة، سينا للنشر، 1997، ص7.**

4- عادل تيُودُور خوري ومُسير باسيل عُون، المرجع السّابق، ص117.

5- ويل ديورانت، المرجع السّابق، ص91.

6- عدنان إبراهيم، حرّيّة الاعتقاد في الإسلام ومعترضاتها، بحث مقدم كجزء من متطلبات الحصول على درجة الدكتوراه إشراف البروفسور: روديغر لولكار، جامعة فينيا ـ النمسا، معهد الاستشراق، 2014، ص732.

نُصوصه المقدّسة، وفي تعاليمه اللاّهوتيّة. ولمْ ينأ كذلك في المُستوى العملي عن التّشريع للاضطهاد الدِّيني والفكري خلال قُرونه الأولى وقرونه الوسطى.

2- مفهوم الرّدّة والإلحاد في المسيحيّة

قبلَ حديثنا عن المصادر التّشريعيّة الّتي تستمدُّ منها المسيحيّة حُججها في تعاملها مع مثل هذه القضايا، سنقفُ أوّلاً عند مفهومي الرِّدّة والإلحاد بصفة مُوجزة؛ إذْ يبدو أنَّ المفهومين لا يختلفان كثيرا عمَّا ورد في الفكر الإسلاميّ، غير أنَّ التّمييز بين المفاهيم ذاتها في المسيحيّة يتميّزُ بضربٍ من التّداخل، ثمّ سنعملُ بعدَ ذلك على تحديد أبرز المقاطع والآيات الّتي ذُكرت في العهدين القديم والجديد. فهذه المقاطع الواردة في العهدين تعتمدُها المسيحيّة كأدِلّةٍ في مُعالجتها لحرّيّة المُعتقد. كما سنعملُ على ذكر أبرز الأدّلة اللاّهوتيّة في أواخر القرون الأولى، وهي أدلّة اعتمدها الأباطرة والآباء من بعدها كذريعةٍ لمُطاردة كلّ مارق أو كافر أو خارج عن الدِّين، لنصلَ فيما بعد إلى القُرون الوُسطى ونَستبين البوادر الّتي مهّدت إلى ظُهور محاكم التّفتيش المُقدّسة، والّتي اعتمدت بدورها على أدلّةٍ لاهوتيّة في تبريرها للاضطهاد الدِّينيّ.

لقد ظلّ مفهومُ الرِّدّة والإلحاد في القُرون الأولى من تاريخ الفكر المسيحيّ مُرتبطا بمفهُوم الهرطقة[7] ارتباطًا وثيقًا. فلا نكادُ نعثرُ على مفهومي الرِّدّة والإلحاد في الكُتب والمعاجم إلاّ ونجدهُما قدْ اتّصلا بالهرطقة في جانب من جوانبها. فلقدْ كانت الهرطقةُ قديمًا تتخذُ أشكالا عديدةً «فكلّ الهرطقات لمْ تُولد بِدعًا وليست كُلّ البِدع هرطوقيّة، فالهرطوقي لا يُصبح مُنتسبا إلى بِدعة دِينيّة إلاّ حين يستمرُّ في خطئهِ وينفصلُ بشكلٍ مخصوصٍ عن الكنيسة مع عددٍ من الأشخاص الّذين يُفكرون مثلهُ على صعيد الإيمان»[8]. ولابدّ لنا في هذا السِّياق إلى الإشارة إلى أنّ بعض الدِّراسات تعتبرُ الانشقاق أقلّ خُطورة من الهرطقة، فالانشقاق يمثلُ إساءةً لوحدة الكنيسة لا إلى وحدة الإيمان، غير أنّ التّمييز بين المفاهيم بقي غامضا أثناء القُرون الأولى إذ تُعتبر الهرطقة عبارةً عنْ فرقة دينيّة تتكونُ من أناسٍ تكونُ العقيدةُ عندهم مُختلفة، وفي مقابل ذلك يُمكن اعتبارُ الانشقاق قطيعةً بين جماعة لهُم العقيدةُ عينها، «ولكن هناك ما هو أسوأ من هذه الانشقاقات المُتنوعة إنّه الارتداد، التّخلي الكامل على الدِّين المسيحيّ»[9]. وهذا المرادُ من معنى الرِّدّة، أي الخُروج عن الدِّين المسيحيّ، أو الخُروج من المسيحيّة بعد الدّخول فيها. وبناءً على ذلك يُمكن تعريف الرِّدّة بأنّها التّخلي عن

7-إنّ التّعريف الكاثوليكيّ للهرطقة هو التّالي: رأي دِيني مُدان كنسيّا على أنّه مُناقض للإيمان الكاثوليكيّ، أو أيضا خطأ إراديّ ومتشبث به، مُتعارض مع مبدأ إيماني مُوحى به. ومن وجهة النّظر التّاريخيّة، ينبغي التّوسع بالتّعريف، لأنّ مفهوم الهرطقة موجودٌ في كنائس أخرى غير الكاثوليكيّة الرّومانيّة. هكذا يعتبر الرّوم الأرثوذكس «اللاتينيّين» هراطقةً، لأنّهم تبنّوا المبادئ الإيمانيّة الّتي لم تكن تحدثت عنها المجامع المسكونيّة السّبعة الأولى (كمبدأ وجود المَطْهَر).أمّا الكنيسة البروتستانتيّة فكان لديها هراطقتها على الأقلّ في البدايات. **يُنظر في**: ج ويلتر، **الهرطقة في المسيحيّة تاريخ البدع الدِّينية**، ترجمة جمال سالم، بيروت- لبنان، دار الفارابي 2007، ص 17

8- ج ويلتر، **المرجع السّابق**، ص17-18.

9- ج ويلتر، **المرجع نفسه**، ص19.

الدِّين الحقيقي والرّجوع إلى الوراء، ولقد ميّز القُدامى بين ثلاثة ضروب من الارتداد: الضرب الأوّل يسمّى بردّة الرّهبان، والضرب الثانيّ يسمّى بردّة الأمير أو الدّولة، أمّا الضرب الثالث، فلا يقتصرُ على المؤمن الّذي يتخلّى عن الأعمال الخيّرة فحسب، وإنّما يشملُ من يتخلّى عن الإيمان نهائيّا[10].

أمّا عن مفهوم الإلحاد، فقد ظلّ بدوره غامضًا في القُرون الأولى والوُسطى من تاريخ الفِكر المسيحيّ وهو ما جعل من رمسيس عوض يعتبرُ أنّ معناه «لا يتّسِم بالوُضوح الكافي فضلاً عن أنّ معناه في الماضي يختلفُ عن معناه في الحاضر، ورأى أنَّ كلمة إلحاد لمْ تُستحدث في أوروبا إلاّ في القرن السّادس عشر، ولكن ذلك لا يعني عنده عدم وُجود مُلحدين قبل هذا التّاريخ، فالقُرون الوُسطى عرفت بعض حركات الإلحاد، ولكنّ الكنيسة إبّان تلك الفترة شاعت ألاّ تُسميّه إلحادًا بلْ **خُروجًا عن الفضيلة والدِّين**»[11]، ثمّ ظهرت من بعد ذلك مُصطلحات أخرى تُعبِّر عن معنى الإلحاد تدريجيّا، ففي القرن السّادس عشر وأوائل القرن السّابع عشر الميلادِيّين، «اُعتُبر الإنسان مُلحدًا في حالةِ عدم إيمانه بالله أو إيمانه ببعض المُعتقدات الّتي تجعلُ الإيمانَ بوُجود الله شيئا لا معنى لهُ مثل إنكار خلُود الرّوح»[12]. وفي أواخر القرن السّابع عشر الميلاديّ بدأت مُصطلحات أخرى في الظّهور تُعبِّرُ عن معنى الإلحاد أهمّها الماديّة والفكر الحرّ واللاأدريّة... أمّا مفهومُ الإلحاد كما ورد في موسوعة العُلوم الدِّينيّة فيعني بالمعنى الواسع للكلمة أنْ يكُونَ الإنسان مُلحدا كُل من يكون دُون إله وبهذا المعنى تُوجد أكثر من طريقة يكونُ فيها الإنسان مُلحدا: أوّلاً يُمكن أنْ يكُونَ الإنسان مُلحدًا في سُلوكه، وثانيًا فإنَّ بعض العُلماء والفلاسفة يؤكدُون وُجود بعض الشُّعوب المُلحدة من خلال غياب فكرة وُجود الله من إدراكهم، وهذا الإلحاد يُمكن تسميّته بالإلحاد النّاجم عن الجهل[13].

ولئنْ كان الفُقهاء في الفكر الإسلاميّ يتعاملُون مع قضيّة الرِّدّة والإلحاد انطلاقًا من القرآن والسّنة، فإنّ الأمر قدْ يبدُو مُختلفا في الفكر المسيحيّ اختلافا نسبيّا. «فالمسيحيون يُسمّون كُتُبهم المقدّسة بكُتب العهد الجديد للتّفريق بينها وبين كُتب اليهود المُسمّاة كتب العهد القديم، وكتب المسيحيّين المقدّسة «تتضمّنُ (21) رسالةً منها (13) رسالةً منسُوبة لبُولس ومُوجّهة لأهل **روما وغلاطية وكورنثوس** وهي الّتي يُجزم بصحّة نسبتِها. أمّا بقيّةُ الرّسائل، فهي خليطٌ من كتابة بولس وإضافات دخلتها عبر السِّنين»[14]. وعلاوةً على هذه الرّسائل نظفرُ «بأربعة كُتب منسوبة لاثنين مِن أتباع يسوع هُما **متّى ويُوحنا**، واثنين من مُعاوني القدّيس بولس هما **مِرقس ولُوقا**، وقدْ كُتبت تلك الكُتب أو المصادر بين عامي 150-70))؛ أي بعد موت يسوع بفترة

10- Dictionnaire universel François et latin Nouvelle édition revue, corrigé, augmentée, tome premier, imprimé a paris, p473.

11- رمسيس عوض، **المرجع السّابق**، ص15.

12- رمسيس عوض، **المرجع السّابق**، ص17.

13- Sandoz et Fischhbacher, Encyclopédie des sciences religieuses, publiée sous la direction de F.LICHTENBERGER Tome 1, librairie, Paris, 1877, p681.

14- ابن قرناس، **مسيحيّة بولس وقسطنطين**، ط1، بيروت- لبنان، منشورات الجمل، 2009، ص28.

تتراوحُ ما بين (40 إلى110سنوات)»[15]. وتُسمي المسيحيّة كُتبها المقدّسة بالأناجيل[16]. وتزعمُ أنّ مؤلِّفها هو الإله، أملاها الرّوح القدس على الإنجليّين الّذين دوّنوها من دون غلط ولا خطأ بضمان الرّوح القُدس. ويبدو أنّ بعض الدّارسين قد أجمعوا على أنّ تلك الكُتب قدْ دخلت عليها إضافات وتنقيحات لتتوافق مع ما عمِل بولس)2-67م) Paul de Tarse[17]على نشره من مبادئ.

وتُحيلُنا بعضُ الكتب الّتي أرّخت للدِّيانة المسيحيّة إلى أنّ بوادر الاضطهاد الدِّيني في الفكر المسيحيّ قدْ بدأت مع قسطنطين[18] (280-337م) Costantin I. فعندما أصبح الرّجلُ حاكمًا لرُوما وبدُخوله في المسيحيّة، «تعرّضت تلك الكُتب إلى إضافاتٍ وتنقيحٍ مرّةً أخرى لتتوافق مع المسيحيّة كما أرادها قسطنطين ولتأخُذ شكلها الحالي في القرن الميلاديّ الرّابع والعُصور التّالية»[19]. ومنذُ تلك اللّحظة الّتي ظفِرت فيها الكنيسة بسُلطة مدنيّةٍ في عهدِه «دخلَ مبدأ الكبح العام، واستمرَّ عشرةَ قرون شداد رسفَ فيها العقلُ والقلبُ في الأغلال، وعانَى من قسوته اليهود وعبّاد الأوثان كثيرا، وأصدر قسطنطين قانونًا يقضي بإحراق كلّ

15- ابن قرناس، المرجع السابق، ص 28.

16- **تعني كلمة إنجيل، وهي يُونانيّة الأصل:** الخبز الجيّد والبشارة السّعيدة. وتُقرُّ الكنيسة اليوم بأربعة أناجيل فقط، وكلّ منها إنجيل؛ إنّما هو إنجيل هذا القدِّيس أو ذاك إذ أنّ كلاّ منها يُعبر عن وجهة نظر صاحبه. وهم؛ متّى ومرقس ولوقا ويُوحنا. الأوّل والثاني: هُما رسولان، ويُقال عن الأناجيل الثّلاثة الأولى بأنّها ((واحدة النظرة)) لكونها ترى بالعين ذاتها وتتبعُ النّظام ذاته، وتُقرأ بنظر واحد، وهي إذ تتفقُ فيما بينها تختلفُ عن القدِّيس يُوحنا ذي الاستقلال الأجلي إلاّ فيما يرويه عن الآلام.

-**القدّيس مرقس (ت نحو 68م):** تلميذ القدِّيس بُطرس، يتبعُ النِّظام عينه الذي سار عليه القدِّيس متّى؛ ولكن بطريقة أبسط وبعفويّة. ويهتمّ بإظهار الوحي التّدرّجي للمسيح، ولا يوردُ الكثير من خطبه أو كلامه؛ بل يُشدِّدُ على إيراد العجائب. وهكذا يأتي إنجيله أقصر الأناجيل الأربعة، وأوفرها ذكرا للتفاصيل.

- **القدِّيس لوقا(ت نحو84م):** وهو وثنيّ أصلاً ورفيق القدِّيس بولس، فقد كتب للوثنيّين. وفي إنجيله الكثير من الأقسام الأصليّة والتي هي إضافات خاصّة به. وهو يُظهرُ المسيح في طريقه إلى القدس قبل الآلام ويُبدي عن أفكار شخصيّة: فمثلاً يُشدِّدُ على الرّوح القدس، وعلى تفاصيل المسيح للصِّغار والخاطئين، وعلى الفقر والصلاة، والفرح.

- **إنجيل القدِّيس يُوحنا(ت نحو98م):** وهو رسول أيضا كمتّى، ويحتلُ منزلة خاصّة بين الأناجيل السّابقة. فهو أخرها زمنيّا ويذكر ما لمْ تذكره تلك الأناجيل من كلام أو مُشاهدة من حياة المسيح. ثمّ إنّه إنجيل مُرتبط بالطّقوس والأعياد اليهوديّة. ويدور حول فكرة مركزيّة هي أنّ المسيح، وهو الكلمة التي تجسّدت، يدخل في حياة الله أولئك النّاس الذي يؤمنون برسالته. وهو يُوضح قيمة الأعمال الأسراريّة للكنيسة، ويقدّم إشارات ثمينة حول اللحظات والأماكن ممّا يجعل معلوماته هذه شهادة مباشرة وروحانيّة عميقة.

والأناجيل الأربعة إعلانٌ مربّع لدعوة واحدة للسير على الطّريق الجديد ليسوع المسيح، ونداء موّحدٌ إلى الأيمان والى ملكوت الله، ويتألف العهد الجديد بالإضافة إلى الأناجيل الأربعة من ثلاثة وعشرين سفرا هي أعمال الرّسل. **ينظر في:** عليزيعُور، **أوغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحيّة والفلسفة الوسيطة،** ط1، بيروت- لبنان، دار اقرأ، 1983 ص10-12

17- **القدِّيس بولس الرّسول (نحو2-67م):** وُلد بولس في مدينة طرطوس وهي عاصمة إقليم كليكية جنوب آسيا الصُّغرى وكانت المدينة أيّام القدِّيس بولس تحت الحكم الرّومانيّ ويقول القدِّيس يُوحنا الذّهبي أنّ القدّيس بولس ولد سنة 2 ميلاديّة وهو الرّسول الثالث عشر بحسب الإنجيل وهو الرّسول الذي حمل نُور المسيح للأمم تتميما لنبوّة سمعان الشّيخ، وهو حامل الطفل يسوع على ذراعيه، والقدّيس بولس هو ألمعُ شخصيّة في الأناجيل وبقيّة الأسفار في العهد الجديد. فمن بين السّبعة والعشرين سفرا التي يضمّها العهد الجديد والتي احتفظت بها الكنيسة في قانونها لهُ منها أربعة عشرة رسالة؛ ثلاثة عشر تحملُ اسمه وإمضاءه، والأخيرة إنْ لمْ تحمل اسمه فهي تحملُ فكره وروحه، وهي منسوبة له كنسيّا.وهذه الرّسائل في مجموعها تزيدُ عن رُبع مدوّنات العهد الجديد برُمّته. وهذه الرسائل يُرجح أنّه كتبها في أوائل الخمسينات من القرن الأوّل المسيحيّ. **ينظر في: الأب متى المسكين، القدّيس بولس: حياته. لاهوته. أعماله، ط1، القاهرة- مصر، مطبعة دير القدّيس أنبا مقار- وادي المطرون، 1992، ص17-18**

18- **قسطنطين الأوّل(280-337م):** إمبراطور رُومانيّ (312- 337م).يُعتبرُ أعظم الأباطرة الرّوم المتأخرين، تنصّر عام (313م) فكان أوّل إمبراطور رومانيّ مسيحيّ أعاد بناء مدينة بيزنطة (330) وسمّاها بالقسطنطينية، ومن ثمّ نقل عاصمة الإمبراطوريّة الرّومانيّة من روما إليها. شيّد عددا كبيرا من الكنائس.**ينظر في: منير البعلبكي، موسوعة تراجم لأشهر الأعلام العرب والأجانب والقدامى والمحدثين مستقاة من موسوعة المورد، ط1، بيروت – لبنان، دار العلم للملايين، 1992، ص 348**

19- ابن قرناس، **المرجع السّابق**، ص.29

يهوديّ يلقي على مَنْ اعتنق المسيحيّة حجرا، وعِقاب كلّ مسيحيّ تهوّد- أي اعتنق اليهوديّة- ثُمّ عدّل العِقاب إلى مُصادرة الأملاك، فإنْ تزوجَ يهوديّ بمسيحيّة أُعدم»[20]؛ لأنّ شرّ اليهود وعُبّاد الأوثان يجرّ المؤمنين إلى الرّجوع عن المسيحيّة، فلا دِين عند قسطنطين إلاّ المسيحيّة، ولا وُجود لمؤمنٍ سوى المؤمن المسيحيّ في المسيحيّة. ولقد كانت هذه الإجراءات الّتي ظهرت بوادرُها مع قسطنطين تستندُ إلى حُجج لاهوتيّة مُقدّسة لا يُمكنُ المساسُ بها في نظر كلِّ مؤمنٍ مسيحيّ. والنّاظرُ في العهدين القديم والجديد يظفرُ ببعض المقاطع المُشرِّعة للاضطهاد الدِّيني، وهي مقاطع تتعارضُ مع مبدإ المحبّة الّذي ردّدته المسيحيّة كثيرا في كُتبها.

3- مصادر التّشريع في الفكر المسيحيّ:

أ: من العهد القديم

تعتمدُ الشّريعة المسيحيّة في تعامُلها مع مسألة المروق عن الدِّين على نُصوص مِنَ العهد القديم وأخرى من العهد الجديد. وقدْ يسألُ سائلٌ عن سبب التزام المسيحيّين ببعض المقاطع الّتي وردت في العهد القديم، ويبدو أنّ الإجابة عن هذا التساؤل تُفسّر بالأساس أنّ المسيح قد قالَ في **إنجيل متّى**: ﴿لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ. فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ﴾[21]. فالمسيح بحسب هذه الآيات لمْ يأت لينقُض ما جاء به موسى من قبل، فهو مُتمِّمٌ ومُكمِّلٌ لما أتى به موسى من قبله. والمُتمعنُ في العهد القديم يجدُ في الشّريعة اليهوديّة نُصوصًا تقضي بإعدام المُجدِّفين على اسم الرّب، فقد وردَ في **سفر اللاويين**: ﴿ وَكَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلاً: كُلُّ مَنْ سَبَّ إِلهَهُ يَحْمِلُ خَطِيَّتَهُ، مَنْ جَدَّفَ عَلَى اسْمِ الرَّبِّ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ. يَرْجُمُهُ كُلُّ الْجَمَاعَةِ رَجْمًا. الْغَرِيبُ كَالْوَطَنِيِّ عِنْدَمَا يُجَدِّفُ عَلَى الاسْمِ يُقْتَلُ﴾[22]. ونقرأ أيضا في **سفر تثنيّة الاشتراع**: ﴿ وَإِذَا أَغْوَاكَ سِرًّا أَخُوكَ ابْنُ أُمِّكَ، أَوِ ابْنُكَ أَوِ ابْنَتُكَ أَوِ امْرَأَةُ حِضْنِكَ، أَوْ صَاحِبُكَ الَّذِي مِثْلُ نَفْسِكَ قَائِلاً: نَذْهَبُ وَنَعْبُدُ آلِهَةً أُخْرَى لَمْ تَعْرِفْهَا أَنْتَ وَلاَ آبَاؤُكَ، مِنْ آلِهَةِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ حَوْلَكَ، الْقَرِيبِينَ مِنْكَ أَوِ الْبَعِيدِينَ عَنْكَ، مِنْ أَقْصَاءِ الأَرْضِ إِلَى أَقْصَائِهَا، فَلاَ تَرْضَ مِنْهُ وَلاَ تَسْمَعْ لَهُ وَلاَ تُشْفِقْ عَيْنُكَ عَلَيْهِ، وَلاَ تَرِقَّ لَهُ وَلاَ تَسْتُرْهُ، بَلْ قَتْلاً تَقْتُلُهُ. يَدُكَ تَكُونُ عَلَيْهِ أَوَّلاً لِقَتْلِهِ، ثُمَّ أَيْدِي جَمِيعِ الشَّعْبِ أَخِيرًا، تَرْجُمُهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَ؛ لأَنَّهُ الْتَمَسَ أَنْ يُطَوِّحَكَ عَنِ الرَّبِّ إِلهِكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ، فَيَسْمَعُ جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ وَيَخَافُونَ، وَلاَ يَعُودُونَ يَعْمَلُونَ مِثْلَ هذَا الأَمْرِ الشِّرِّيرِ فِي وَسَطِكَ﴾[23].

20- توفيق الطويل، **قصّة الاضطهاد الدِّيني في المسيحيّة والإسلام**، ط1، قسم النشر: الزهراء للإعلام العربي، 1991 ص62-63.

21- إنجيل متّى، الأصحاح 5، الآية: 17-18

22- سفر اللاويين، الأصحاح 24، الآية: 15- 16

23- سفر التثنية، الأصحاح 13، الآية 6-11

وإنّ المُتمعنُ في هذه المقاطع يُلاحظُ أنّها تُشرّعُ لعُقوبةٍ في غاية القسوة، فكلّ مَن يُحرّض النّاس على الارتدادِ، أو يدعُوهم لعبادة آلهةٍ أخرى، يكُون عقابُه الرّجمُ بالحِجارة حتّى الموت. وعلى غرار ما ورد في هذه الأسفار، فإنّنا نظفرُ بأسفار أخرى تبدُو أشدَّ صرامةً في الحكم ونُورد في ذلك ما جاء في الإصحاح الثّالث عشر من **سفر التثنية**: ﴿إِنْ سَمِعْتَ عَنْ إِحْدَى مُدُنِكَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَسْكُنَ فِيهَا قَوْلاً: قَدْ خَرَجَ أُنَاسٌ بَنُو لَئِيمٍ مِنْ وَسَطِكَ وَطَوَّحُوا سُكَّانَ مَدِينَتِهِمْ قَائِلِينَ: نَذْهَبُ وَنَعْبُدُ آلِهَةً أُخْرَى لَمْ تَعْرِفُوهَا. وَفَحَصْتَ وَفَتَّشْتَ وَسَأَلْتَ جَيِّدًا وَإِذَا الأَمْرُ صَحِيحٌ وَأَكِيدٌ، قَدْ عُمِلَ ذلِكَ الرِّجْسُ فِي وَسَطِكَ. فَضَرْبًا تَضْرِبُ سُكَّانَ تِلْكَ الْمَدِينَةِ بِحَدِّ السَّيْفِ، وَتُحَرِّمُهَا بِكُلِّ مَا فِيهَا مَعَ بَهَائِمِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. تَجْمَعُ كُلَّ أَمْتِعَتِهَا إِلَى وَسَطِ سَاحَتِهَا، وَتُحْرِقُ بِالنَّارِ الْمَدِينَةَ وَكُلَّ أَمْتِعَتِهَا كَامِلَةً لِلرَّبِّ إِلهِكَ، فَتَكُونُ تَلاً إِلَى الأَبَدِ لاَ تُبْنَى بَعْدُ﴾[24]. فهذه الأسفار تُؤكِّدُ ضرورة عِقاب مَدينة بأكملها إذا ما تبيّنَ ارتدادُ أحدٍ من أهلها، ويكونُ عِقابُها بحدِّ السّيف، فحتّى بهائمها لا تنجو من العِقاب، بلْ إنَّ المدينة تُحرق كاملةً إذا ما ثبت ارتدادُ سُكّانها.

ونقرأ **في سفر التثنيّة**: ﴿إِذَا وُجِدَ فِي وَسَطِكَ فِي أَحَدِ أَبْوَابِكَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ رَجُلٌ أَوِ امْرَأَةٌ يَفْعَلُ شَرًّا فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ إِلهِكَ بِتَجَاوُزِ عَهْدِهِ. وَيَذْهَبُ وَيَعْبُدُ آلِهَةً أُخْرَى وَيَسْجُدُ لَهَا، أَوْ لِلشَّمْسِ أَوْ لِلْقَمَرِ أَوْ لِكُلّ مِنْ جُنْدِ السَّمَاءِ، الشَّيْءَ الَّذِي لَمْ أُوصِ بِهِ، وَأُخْبِرْتَ وَسَمِعْتَ وَفَحَصْتَ جَيِّدًا وَإِذَا الأَمْرُ صَحِيحٌ أَكِيدٌ. قَدْ عُمِلَ ذلِكَ الرِّجْسُ فِي إِسْرَائِيلَ، فَأَخْرِجْ ذلِكَ الرَّجُلَ أَوْ تِلْكَ الْمَرْأَةَ، الَّذِي فَعَلَ ذلِكَ الأَمْرَ الشِّرِّيرَ إِلَى أَبْوَابِكَ، الرَّجُلَ أَوِ الْمَرْأَةَ، وَارْجُمْهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَ.عَلَى فَمِ شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةِ شُهُودٍ يُقْتَلُ الَّذِي يُقْتَلُ. لاَ يُقْتَلْ عَلَى فَمِ شَاهِدٍ وَاحِدٍ، أَيْدِي الشُّهُودِ تَكُونُ عَلَيْهِ أَوَّلاً لِقَتْلِهِ، ثُمَّ أَيْدِي جَمِيعِ الشَّعْبِ أَخِيرًا، فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ وَسَطِكَ﴾.[25] وفي هذه المقاطع أمرٌ صريحٌ يُشرّع لعُقوبة الإعدام رجمًا على كلّ مُتطاول أو مُجدِّف أو مُتمرّدٍ على الميثاق الّذي أتى به ناموس مُوسى. ويسري حُكم الإعدام على كلّ من يعبُد آلهةً أخرى أو يسجد للقمر أو الشّمس. ويبدو أنّ حُكم الإعدام على كلّ مَن يقترفُ خطيئةً من الخطايا الّتي ذُكرت لا يثبتُ إلاّ بشهادة شاهدين أو ثلاثة شُهود، والظّاهر أنّ المقاطع الّتي ذكرت في سفر التثنية تتضمّنُ تعطيلاً في الحُكم، إذْ لا يُمكنُ بحسب ما ورد فيها إثباتُ تُهمة ارتداد المُرتدّ إلاّ بشاهدة شاهدين أو أكثر. فمنْ باستطاعته أنْ يُعلن عن ارتِداده للعيان وهو يعلمُ أنّ عاقبتهُ ستكونُ الموت رجمًا؟

ويُعد التّلمود كذلك من المصادِر الأساسيّة الّتي يعتمدُها اليهود والحاخامات في التّشريع لبعض المسائل القانونيّة، فهو يحتوي على نِقاشات كثيرة بين الحاخامات حولَ الشّريعة اليهوديّة. وعُمومًا تضمّن التّلمود أنواعًا مُختلفةً منْ أحكام الموت الّتي تُعلن عن طريق المحكمة أهمّها الرّجم، والحرق، والقتل، والخنق. فحكمُ الرّجم يشملُ «من يتجدّف على اسم الرّب، ومن يعبد الأوثان، ومن يُقدم من نسله للصّنم، والّذي يُحرّض

24- سفر التثنية، الأصحاح 13، الآية 12-16

25- سفر التثنية، الأصحاح 17، الآية 2-7

الأفراد على عِبادة الأوثان ومَنْ يدفع (المدينة بكاملها إلى عبادة الأوثان). فمن يعبد الأوثان فحكمهُ الرّجم. ومن يُدنس اسم الرّب بقوسم (اسم صنم) يُحاكم بالخنق، والحاخامات يقولون: بل إنّ موته يكون بقضاء الرّب»[26]. وقدْ حافظت الجماعات اليهوديّة في العُصور الأولى من الوجهة النّظريّة على شريعة الكتاب المُقدّس الخاصّة بالمُروق عن الدِّين لكنّها قلّما عملت بها[27]. ويبدُو أنّ النّصوص النّظريّة الّتي تعلّقت بحُكم المُروق عن الدِّين في العهد القديم أقرب إلى الاستِحالة عمليّا؛ فهي مقاطع تؤكّدُ في أكثر من موضعٍ واحدٍ ضرُورة توفّر شُهودٍ لإثبات الحُكم الّذي يجب أنْ يُطبّق على من يُجدِّف أو يرتد عن الدِّين، ولعلّ ذلك ما يفسرُ عدم عَملِ الشّريعة اليهوديّة بها إلاَّ اضطرارًا.

ب: من العهد الجديد

لا تخلو الأناجيل بدورها من وُجود مقاطع مُحيلة على حُكمِ المُرتدِّ والمُلحدِ في الشّريعة المسيحيّة، ورغم أنّنا لا نجدُ مقاطع تدلُّ على معنى الرِّدّة والإلحاد كما وردت من بعدها في الكنيسة، فإنّنا نظفرُ ببعض الآيات الدّالة على ذلك ولو من بعيد. فقدْ وردَ في **إنجيل يُوحنا** على سبيل المثال لا الحصر: ﴿أَنَا الْكَرْمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ وَأَبِي الْكَرَّامُ. كُلُّ غُصْنٍ فِيَّ لاَ يَأْتِي بِثَمَرٍ يَنْزِعُهُ، وَكُلُّ مَا يَأْتِي بِثَمَرٍ يُنَقِّيهِ لِيَأْتِيَ بِثَمَرٍ أَكْثَرَ. أَنْتُمُ الآنَ أَنْقِيَاءُ لِسَبَبِ الْكَلاَمِ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ. اُثْبُتُوا فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ. كَمَا أَنَّ الْغُصْنَ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَأْتِيَ بِثَمَرٍ مِنْ ذَاتِهِ إِنْ لَمْ يَثْبُتْ فِي الْكَرْمَةِ، كَذلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا إِنْ لَمْ تَثْبُتُوا فِيَّ. أَنَا الْكَرْمَةُ وَأَنْتُمُ الأَغْصَانُ الَّذِي يَثْبُتُ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ هذَا يَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ؛ لأَنَّكُمْ بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا. إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يَثْبُتُ فِيَّ يُطْرَحُ خَارِجًا كَالْغُصْنِ، فَيَجِفُّ وَيَجْمَعُونَهُ وَيَطْرَحُونَهُ فِي النَّارِ، فَيَحْتَرِقُ﴾[28]. فمن لا يمتثلُ لناموس المسيح يُطرح في النّار ويموتُ حرقا كي لا تسري عدوى التمرّد إلى بقيّة المؤمنين. وعلاوةً على ما جاء في إنجيل يوحنا، فإنّنا نجدُ في إنجيل لوقا مقطعًا يقضي بذبح كلّ عدو من أعداء المسيح. فقد ورد في **إنجيل لوقا**: ﴿أَمَّا أَعْدَائِي، أُولئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِيدُوا أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْهِمْ، فَأْتُوا بِهِمْ إِلَى هُنَا وَاذْبَحُوهُمْ قُدَّامِي﴾[29]، فكُل من يُخالف النّاموس الّذي أتى به المسيح يُنفى بعيدا ويُعاقب حرقا بالنّار.

وعُمومًا، فإنّ النّاظر في بعض مقاطع العهد الجديد يُلاحظُ أنَّ بعض النّصوص الكتابيّة فيه تعتبرُ الرِّدّة من الجرائم الكُبرى الّتي يُعاقبُ عليها صاحبها بالموت، ومن ذلك نذكرُ أنَّ صاحب الرّسالة إلى العبرانيّين عندما كان يُخاطب اليهود الّذين دخلوا في دِين المسيح، أكّد أنّ من يُخالف الشّريعة الّتي جاء بها موسى يكونُ عِقابُه الموتُ بشهادة شاهدين أو ثلاثة شهود. وفي هذه الرّسالة نظفرُ بتعطيل في الحُكمِ شبيه بالّذي ورد في

26- مصطفى عبد المعبود، **ترجمة متن التّلمود (المشنا)**، تقديم محمد خليفة حسن، ط1، الجزء الرّابع، مكتبة النّافذة 2007، ص181.

27- ويل ديورانت، **المرجع السّابق**، ص89-91

28- إنجيل يُوحنا، الأصحاح 15: 1- 6

29- إنجيل لُوقا، الأصحاح 19: 27

سفر التثنيّة من العهد القديم. فمنْ يُخالف شريعة موسى لا يُطبّق عليه حُكم الموت إلاّ إذا توفّرت في إدانتهِ شهادةُ شاهدين أو ثلاثة شهود. تقول **رسالة بولس إلى العبرانيّين**: ﴿ مَنْ خَالَفَ نَامُوسَ مُوسَى فَعَلَى شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةِ شُهُودٍ يَمُوتُ بِدُونِ رَأْفَةٍ. فَكَمْ عِقَابًا أَشَرَّ تَظُنُّونَ أَنَّهُ يُحْسَبُ مُسْتَحِقًّا مَنْ دَاسَ ابْنَ اللهِ رَأْفَةٍ، وَحَسِبَ دَمَ الْعَهْدِ الَّذِي قُدِّسَ بِهِ دَنِسًا، وَازْدَرَى بِرُوحِ النِّعْمَةِ؟﴾[30]. وفي الرّسالة توجدُ إدانةٌ بيّنةٌ لكلّ من يُخالف شريعة موسى، غير أنّ التّهمة لا تثبت كذلك إلاّ بتوفر شاهدين أو ثلاثة، ونقرأ في نفس الرّسالة: ﴿لأَنَّ الَّذِينَ اسْتُنِيرُوا مَرَّةً، وَذَاقُوا الْمَوْهِبَةَ السَّمَاوِيَّةَ وَصَارُوا شُرَكَاءَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. وَذَاقُوا كَلِمَةَ اللهِ الصَّالِحَةَ وَقُوَّاتِ الدَّهْرِ الآتِي. وَسَقَطُوا، لاَ يُمْكِنُ تَجْدِيدُهُمْ أَيْضًا لِلتَّوْبَةِ، إِذْ هُمْ يَصْلِبُونَ لأَنْفُسِهِمِ ابْنَ اللهِ ثَانِيَةً وَيُشَهِّرُونَهُ؛ لأَنَّ أَرْضًا قَدْ شَرِبَتِ الْمَطَرَ الآتِيَ عَلَيْهَا مِرَارًا كَثِيرَةً، وَأَنْتَجَتْ عُشْبًا صَالِحًا لِلَّذِينَ فُلِحَتْ مِنْ أَجْلِهِمْ، تَنَالُ بَرَكَةً مِنَ اللهِ.وَلكِنْ إِنْ أَخْرَجَتْ شَوْكًا وَحَسَكًا، فَهِيَ مَرْفُوضَةٌ وَقَرِيبَةٌ مِنَ اللَّعْنَةِ، الَّتِي نِهَايَتُهَا لِلْحَرِيقِ﴾.[31]فمن يستنير بنُور الرّوح القُدس ينالُ بركةً من الله وليس من حقّه أنْ يتنكّرَ لتلك البركة بعد ذلك، ومن يتنكّر لذلك يكونُ عقابه الموتُ حرقا.

4- اضطهاد الأباطرة للمرتدّين والملاحدة في القرون الأولى:

أ: الإمبراطور ثيودسيوس مشرعا لعقوبة الاعدام

عمِل الأباطرة أثناء القُرون الأولى من تاريخ الفِكر المسيحيّ على العمل بما ورد في بعض الآيات والرّسائل الّتي عرضناها سابقا، فكُتب المؤرّخين مليئةٌ بالإرجاعات والاستشهادات على بعض الإجراءات الصّارمة الّتي اتّخذها الأباطرةُ ضدّ المُرتدِّين والمَلاحدة في القُرون الأولى. ونرجحُ أنّ هذه المُمارسات الّتي اضطلع بها الأباطرة تُردُّ إلى سببٍ رئيسيّ يُمكنُ اختزالهُ في تعرّض الدِّيانة المسيحيّة بدورها إلى الاضطهاد. أضفْ إلى ذلك، فإنّها شهدت بعض الحركات الارتداديّة في بدايتها، فسعت بدورها إلى قمعِ كلّ حركةٍ ارتداديّة وإلحاديّة، والنماذجُ على ذلك كثيرةٌ يصعبُ حصرها، ولكنّنا نذكرُ أنّهُ عندما أعلن «الإمبراطور ثيودسيوس»[32] Théodose Ier(395-347 م) بصفة رسميّة أنَّ الدِّيانة المسيحيّة هي الدِّيانة الوحيدة الرسميّة في الدّولة، «وما هي إلاّ اثنا عشر عاما حتّى تمّ منعُ كافة العبادات الأخرى وفي أعوام (382 و383 و391 ميلاديّا) تمّ إصدار قوانين تنفي الّذين يرتدّون من المُجتمع. فأيّ شخص يتخلّى عن المسيحيّة الكاثوليكيّة ويعتنق أيّ ديانةٍ أخرى تُنتزع مُمتلكاته، ويُحرم من الميراث ويُمنع من المُساهمة في

30- رسالة بولس الرسول إلى العبرانيّين10: 28-29

31- رسالة بولس الرسول إلى العبرانيّين 6: 4-8.

32- **الإمبراطور ثيودسيوس الأوّل(نحو347-395 م):** حكَمَ الإمبراطوريّة الرّومانيّة إلى وفاته عام (395م) واعتنق المسيحيّة عام (380م) وجعل منها دِينًا وحيدا للإمبراطوريّة في عام (391م). قسّم ثيودسيوس الأوّل الإمبراطوريّة الرّومانيّة بين ولديه (اركاديوس وهونوريوس). حكَمَ الأوّل الإمبراطوريّة الشّرقية وعاصمتها القسطنطينيّة بينما حكمَ الثاني الإمبراطوريّة الغربيّة وعاصمتها ميلانو. **ينظر في:** محمّد حمزة حسين ولبنى رياض عبد المجيد، **تاريخ أوروبا في العُصور الوُسطى**، ط1، دار ابن الأثير للطباعة والنشر، 2015، ص405.

الحياة الاجتماعيّة»[33]. إذن، لقدْ أُعتُبر الخُروج عن تعاليم الكنيسة في تلك الفترة الّتي كانت فيها الكنيسة حديثةَ عهدها أمرا مرفُوضا، فيُعاقب كلّ خارج عن التّعليم الكنسيّ بالموت الاجتماعيّ، ويُحرمُ من الميراث والمُساهمة في جوانب الحياة الاجتماعيّة، لا لأنّ خُروجهُ يُمثّل خطرا على الدّين فقط، وإنّما لأنّهُ يمثِّلُ خطرًا وتحديًّا لوحدة الجماعة الكنسيّة.

ولمْ يكتف الإمبراطور بحرمان الملاحدة والمرتدّين من المُساهمة في الحياة الاجتماعيّة، بلْ ذهب إلى أبعد من ذلك؛ إذ يُعتبر الإمبراطور ثيودسيوس من أوّل الأباطرة الّذين شرّعوا[34] لعِقاب الملاحدة والمرتدّين عن دِينهم، فهو أوّل من سنّ عقُوبة الإعدام لكلِّ شخص يحتفلُ بعيدِ الفصح[35] في تاريخٍ مُخالف للّذي حَدَّدهُ مَجْمَع «نيقية الأوّل»[36] (325م). كما أصدر هذا الإمبراطور «مرسُوما يُحرّم نهائيّا عبادة أيّ آلهة أخرى سوى الإله المسيحيّ في كافة أنحاء الإمبراطوريّة الرّومانيّة، وهو ما أدّى إلى إغلاق المعابد غير المسيحيّة ومنع إقامة أي شعائر وثنيّة وهذا الإلغاء الصّارم لحرّيّة العقيدة والّذي تمَّ لصالح الكنيسة وحدها كان يثيرُ بعض الاضطرابات أحيانا؛ ففي إطار هذه الحملة لاقتلاع كل ما هو غير مسيحيّ من الإمبراطوريّة بأسرها قَامَ الإمبراطور عام (393م) بإلغاء الألعاب الاولمبيّة[37]. وقدْ دامت الاضطهادات الّتي اضطلع بها ثيودسيوس الأوّل ضدّ الوثنيّة «مُدّة ثلاثين سنة أُغلقت فيها معابدُ الوثنيّين وأعدمت كُتبهم ومُنعوا مِن مُمارسة

33- زينب عبد العزيز، **الإلحاد وأسبابه، الصفحة السّوداء للكنيسة**، ط1، دمشق– القاهرة، دار الكتاب العربي، 2004 ص64، 65.

34- يظهر أنّ أوّل قانون نصّ على الإعدام عُقوبة للمُلحدين كان في دستور ثيودسيوس الذي لمْ يُطبّقْ إلاّ على أتباع المذهب المانويّ.ووضع ثيودسيوس في أواخر القرن الرّابع قوانين صارمة تتضمّن ستة وستين بُندا لمُقاومة الهرطقة ووضع إلى جانبها بُنودا أخرى لاستئصال الوثنيّة ومناهضة الدِّيانة اليهوديّة والارتداد عن الدِّين ومزاولة السِّحر ونحو ذلك. **ينظر في:** توفيق الطويل، **المرجع السّابق**، ص66.

35- **الفصح المسيحي:**

1: فصح يوم الأحد: صُلب يسوع في عشيّة السّبت (مرقس42: 15\\ يوحنّا31: 19) فقام في اليوم التّالي لذاك السّبت: في اليوم الأوّل من الأسبوع (مرقس2: 17 //). وفي اليوم الأوّل من الأسبوع أيضا وجد اثنان من الرّسل ربهما القائم من بين الأموات: ظهر لهُما خلال تناوله معهما وجبة طعام تجدد العشاء الرّباني(لوقا 3: 24 و42-43، مرقس: 16: 14، يوحنا: 20: 19- 26-21: 1-4 أعمال 1: 4).إذنْ سوف يجتمع المسيحيون في اليوم الأوّل من الأسبوع ليشتركوا معا في كسر الخبز(أعمال 20: 1، 7 كورنتس 16: 2) وسوف يُطلق سريعا اسم جديد على ذلك اليوم: هو يوم الرّب، أو يوم الأحد(رؤيا 1: 10). وهو يذكِر المؤمنين بقيامة المسيح ويوحدهم بشخصه في الأفخارستيا ويوجّههم نحو رجاء مجيئه(1: كورنتس11: 26).

2: الفصح السنوي: وعلاوةً على فصح يوم الأحد، هنالك أيضا بالنسبة للمسحيّين احتفال سنوي، فكان اليهود يحتفلون بذكرى نجاتهم من النير الأجنبيّ، وينتظرون المسيا مُحررا لوطنهم، وأمّا المسيحيون فيحتفلون بذكرى تحرّرهم من الخطيئة ومن الموت، فيتحدّثون بالمسيح المصلوب والقائم من بين الأموات ليشتركوا معه في الحياة الأبديّة، ويوجّهون رجاءهم نحو مجيئه الثاني...

3: الفصح في آخر الأزمنة: سوف يكمل سرّ الفصح بالنسبة للمسيحيّين بالموت والقيامة، واللقاء مع الرّب، ويهيّئهم الفصح الأرضي لهذا العُبور الأخير أي لذلك الفصح المُرتقب في الآخرة والواقع أنّ كلمة فصح لا تعبّر فقط عن سرّ موت المسيح وقيامته، أو عن احتفال سرّ الأفخارستيا الأسبوعي أو السّنوي، ولكنّها تشيرُ أيضا إلى الوليمة التي نحوها نحنُ جميعاً سائرون. **ينظر في:** حسن القرواشي، **مدخل إلى تاريخ المسيحيّة**، ط1، تونس، المركز القومي البيداغوجي، 1998، ص122-123

36- **المجمع المسكوني الأوّل**: مجمع نيقة الأوّل (325م): ألوهيّة المسيح: لقد التأم هذا المجمع لمُقاومة عدّة مذاهب مسيحانيّة كمذهب بولس السَميساطي (ت نحو272م) والأريوسيّة بالخصوص وأصدر جزءا كبيرًا من دستور الإيمان حتّى عبارة «وبالروح القدس» ووضع تحديدا لتحديد تاريخ عيد الفصح ومجموعةً من القوانين أهمّها القانون السّادس المُتعلق بسلطة أسقف إسكندرية وروما وأنطاكيا والقانون التّاسع عشر المُتعلق بإعادة معموديّة أتباع بولس السّميساطي وفيه سعى المسيحيون إلى دحض الإشكاليّة التي طرحها أريوس(256-336م) هل عيسى اله أم بشر؟ وركز دستور الإيمان الصادر في هذا المجمع على أنّ يسوع المسيح ليس كائنا وسطاً بين الله والإنسان فهو ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل كلّ الدّهور غير مخلوق مساو للأب في الجوهر متميّز عنه في الأقنوم وأقنوم الابن هو الذي تجسّد في شخص يسوع المسيح وتتمثّلُ قيمة هذا المجمع في أنّه استعان بالفلسفة لتحديد العقيدة واعترف بخصب المجهود اللاّهوتيّ في تعريف المُوحى به... **ينظر في:** حسن القرواشي، **المرجع السّابق**، ص83

37- زينب عبد العزيز، **المرجع السّابق**، ص67.

طقوسهم الدِّينيّة حتّى داخل منازلهم، بل إنّ الإمبراطور آركاديوس (ت408م) Arcadiusالّذي حكم النّصف الشّرقي مِن الإمبراطوريّة الرّومانيّة بين سنتي(395-408م)أصدَر مرسوما بتحطيم معابد الوثنيّة»[38].

ونظنُّ أنّ هذه الإجراءات الصّارمة الّتي اتّخذها الأباطرة في حقّ الملاحدة والمُرتدِّين قد فرضتها الحتميّة الاجتماعيّة والحتميّة السياسيّة بالأساس، ولذلك كان الحِفاظُ على وحدة الكنيسة الكاثوليكيّة أمرا اضطراريّا، خاصّة وأنّها قدْ شهدت قبل ذلك حَركات ارتداديّة أهمّها الّتي كانت مع الإمبراطور «جُوليان المُرتد»[39]، خلال القرن الرّابع (330-363م) Julian، الذي عمِل على إصدار عدّة إجراءات لمْ تكُن في صالح المسيحيّين منها إبرازه التّناقضات بين العهد القديم والجديد، وهو أمرٌ لا يُمكن أنْ يكُون في صَالِح الكنيسة، وبه برّرت من بعدها مُلاحقة كل مرتدٍّ عن الدِّين المسيحيّ بدعوى الحِفاظ على سائر الجسد الكنسي. ولا يفوتُنا في هذا السِّياق أنْ نذكُر بعض التّيارات الّتي وُسمت بالهرطقة خلال القُرون الأولى. فمن التّيارات الّتي وقع التّنكيل بها نذكرُ الظاهرانيّة Docétisme، وهو تيارٌ رفض أصحابه الاعتراف بأنّ المسيح كائنٌ له جسدٌ حقيقي ممّا يعني ضمنيّا إنكار حقيقة الفداء وسرّ الشكر[40]. وبالإضافة إلى الظاهرانيّة، فقدْ وُجدت تياراتٌ أخرى نذكرُ منها المارقونيّة نسبةً إلى مرقيون) 85- 100/نحو160-165م)Marcion حيثُ رفضَ مرقيون الاعتراف بما ورد في العهدين. ونذكرُ كذلك الفالنتيّة نسبة إلى فالنتان(135-165م) Valentin. والأورجينيّة نسبةً إلى أوريجينوس(185-254م) Origène الذي اتّهم بدوره بآرائه الغنوصيّة ووُسِم بالهرطقة والمروق عن الدِّين.

ب: القدِّيس أوغسطين مشرِّعا للاضطهاد الدِّيني:

اعتمدت الكنيسة في تبريرها لاضطِهاد الهراطقة والملاحدة إلى جانب ما ورد في العهدين على جُملة من الأدلّة اللاّهوتيّة أهمّها ما جاء عند بعض الفلاسفة واللاّهوتيّين أمثال القدِّيس أوغسطين[41](354-430م) Augustin؛ إذ «كانت كتاباتهُ شعارَ كُلّ من نزَعَ إلى الاضطهاد، وبها برّر الّذين زاولوه مسلكهُم إزاء من

38- سعيد عبد الفتاح عاشور، **تاريخ أوروبا في العُصور الوُسطى**، بيروت- لبنان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1972، ص48

39- **يوليانوس الفيلسوف:** كان إمبراطورا لرُوما في الفترة مابين)361-363 ميلاديا (حاول يوليانوس إنعاش الوثنيّة وإزاحة المسيحيّة ومع أنّه حكم أقلّ من سنتين. أعلن يوليانوس التّسامح مع كلّ الأديان وكان حريصا على تحاشي سفك الدّماء الذي تميزت به الاضطهادات الأولى القديمة، وبالرّغم ما أعلنه من تسامح مع المسيحيّة فإنّه كثيرا ما اتخذ إجراءات عنيفة وقاسية ضدّهم. كما قام بتقديم العديد من الحُجج ضدّ المسيحيّة فأبرز التّناقضات بين العهد القديم والعهد الجديد، وفكر يوليانوس في مشروع غريب كي يذلّ المسحيّين تمثل في محاولة إعادة بناء الهيكل في أورشليم لكنّه فشل في ذلك، قتِل أثناء حملة عسكريّة ضدّ الفرس سنة (363 ميلادي) وكان عمره آنذاك 32 سنة. **ينظر في**: القس جون لوريمر، **تاريخ الكنيسة**، ترجمة عزرا مرجان، ط1، الجزء الثالث، القاهرة، دار الثقافة المسيحية، 1991، ص83.

40- حسن بن خميس القرواشي، **الفكر المسيحي في مواجهة الحداثة من المجمع الفاتيكاني الأول (1869-1870) إلى المجمع الفاتيكاني الثاني(1962-1965)**، مطبعة علامات، تونس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، 2005، ص496.

41- **القدِّيس أوغسطين (354- 430م)**: لاهوتيّ وفيلسوف كاثوليكيّ يُعتبر كبير مُفكري النصرانيّة في عهودها الأولى. اعتنق النصرانيّة عام (386م) ودافع عن الكنيسة دفاعا قويّا.حاول التّوفيق بين الفكر الأفلاطونيّ والعقيدة النصرانيّة. أشهر آثاره سيرة حياة ذاتية عنوانها «اعترافات» و«مدينة الله». **ينظر في:** منير البعلبكي، **موسوعة تراجم لأشهر الأعلام العرب والأجانب والقدامى والمحدثين مستقاة من موسوعة المورد**، ط1، بيروت- لبنان، دار العلم للملايين، 1992، ص76.

أنكر عليهم ذلك. وعلى هذا القدّيس تقع تبعةُ الاضطهاد أكثر ممّا تقعُ على عاتق من أنشأ محاكم التّفتيش»[42]. لقد عمل القدّيس أوغسطين على تقويّة حُججه «فصاغ مبدأ الاضطهاد لهداية الأجيال التّالية وأقامهُ على أساسٍ من الكتاب المُقدّس فاستند إلى كلمات تفوّه بها المسيح: أجبرُوهم على اعتناق دِينكم. وتماشيّا مع هذا المنطق سلّم بمُعاقبة المُلحد بالنّفي والجلدِ وفرض الغرامات، وَوَضعَ للكنيسة دُستورا تلتزمه إزاء أي حركة إلحاديّة، وصرّحَ في كتابه تعليقات على سفر التّكوين بأنّهُ ليس في الوسع التّسليم برأي لا تؤيده الكُتب المقدّسة لأنّ سُلطانها أقوى من أي سُلطان أمر به العقل البشريّ»[43]. ويبدو أنّ حُججه قد كانت مُستمدةً بالأساس من عقيدة الخلاص وبها برّر الدِّفاع عن مبدإ الاضطهاد الدِّينيّ، واستمدّ حُججا أخرى بالاستناد إلى العهد القديم فكان من رأيه «أنّ من دلالات الرِّفق وشواهد الرّحمة، أن يُعاقب المُلحدون إذا كان هذا العِقاب يُنقذهمُ من العذاب الأبديّ الّذي ينتظرهُ المُرتدّون عن دِينهم القويم، فالهرطقة تُوصف في الكتاب المقدّس وكأنّها نوعٌ من الفُسق والمروق وعبادة الأوثان. إنّها أسوأ أنواع القتل لأنّها نوعٌ من التّجدِيف ومن أجل هذا اقتضت العدالة أنْ ينالَ أهلُهَا ما يستحقُونَ من عقاب»[44].

وعلى الرغم من تشريع القدّيس أوغسطين لمُعاقبة الهراطقة والمرتدّين، فإنّ موقفه من قضيّة الحرّية الدِّينية ظلّ في تناقُضٍ كبير، إذ بذل جُهدًا جبّارا كي لا تكُون العُقوبة صارمةً، وكي لا ترتفِع إلى مرتَبة الإعدام. فأمرَ أصحاب السّلطة بأنْ يقتصروا على عُقوبة النّفي، وحذَّرهم جاهدًا إنْ أبوا الاقتصار على ذلك، بأنْ يستتِر الكهّان عن الإبلاغ على المُلحدين. ولئنْ حاولَ القدّيس أوغسطين أنْ يُنْقِذَ بعض المُهرطقين والملاحدة الّذين صدرت في حقّهم الإدانة، فإنّ ذلك لا يمنعُ في كلِّ الأحوال من القول، «بأنّه كان يُطالبُ بعِقاب المُلحدين، ويُقيم حقَّ العُقوبة على أساس بشاعة الاتهام الّذي اعتُبر أعظمَ الجرائم إطلاقا، كما اعتبرَ التّجدِيف هرطقةً وقرّرَ مُعاقبة أهله بالإعدام عدلاً واستشهد على عدالة ذلك بمُثل وردت في العهد القديم[45]». ولئنْ حاول أوغسطين رفض عُقوبةَ الإعدام، فإنَّ موقفهُ من العالم والإنسان «قد كرّس عقليّة الغيب ولم يحتو تفكيرهُ على الشّروط النّظرية المُولِّدة لحُقوق الإنسان والمُمجدة لقُدرته. فقد اعتبر أنَّ المدينةَ السّماويّة أعظم وأجلّ من المدينة الأرضيّة؛ لأنّها ترتكزُ على حُب الله المؤدي إلى الانصراف عن الذّات والكون، وأنّ الطّبيعة بدُون معنى، وهي في كلِّ لحظة مُتعلقة بالإرادة الإلهيّة. ورأى أنّ العقل البشريّ قاصرٌ عن المعرفة بحكم انعدام قانون عقلانيّ يحكم الأشياء»[46]. واعتبر أنّ حرّيّة الاختيار في الإرادة هي علّة الشّرُور وأنّ كلّ

42- توفيق الطويل، **المرجع السّابق**، ص 69 - 70

43- توفيق الطويل، **قصّة النّزاع بين الدِّين والفلسفة**، ط1، مصر، الناشر: مكتبة الآداب بالجماميز، 1947، ص81

44- توفيق الطويل، **قصة الاضطهاد الدِّيني في المسيحيّة والإسلام**، ص71

45- توفيق الطويل، **المرجع السابق**، ص 72

46- حسن بن خميس القرواشي، **المرجع السابق**، ص415.

شرّ يفعلهُ الإنسان خطيئة يستحقُ صاحبُها العِقاب، مُعتبرا بذلك المانويّين[47] أكبر مُخطئين وتفكيرُهم الفاسد يُوقعهم في الخطيئة الّتي تستحِقُ الطّرح مَهما كلّفَ الأمر[48]. وعلاوةً على ما اضطلع به القدّيس أوغسطين من إجراءات في حقِّ الهراطقة والمُلحدين، فقد فُرِضت أيضا الرّقابةُ علَى المطبوعات، وصَدرت أوّل قائمة بالكُتب الّتي حُرّمت قراءتها على المُؤمنين ومَضت الكنيسةُ بعده تعملُ جاهدةً على قمع الهراطقة وجندلة دُعاتها وكان لموقف هذا القدّيس أبلغ الآثار في عرقلة النّظر العقليّ ووقف التّقدّم العمليّ»[49]. ولقدْ ظلّت الكنيسة تعتمدُ على آرائه في مُطاردتها للمرتدّين والملاحدة إلى حُدود القرن الحادي عشر الميلاديّ إلى أنْ برَزت أدلّةٌ فقهيّةٌ أخرى، اعتمدتها الكنيسةُ من جديد كحُجَج لاهوتيّة في المُضيّ قُدمًا في تقنينِها لكلِّ عملية اضطهاد أو إبادة في حقِّ الملاحدة والمُهرطقين.

إذن بيّنٌ ممّا سبق، أنّ الفلسفة والاحتجاج اللاهوتيّ قد لعبا دورا كبيرًا في تقنين المُمَارسات الّتي اضطلعت بها الكنيسة خلالَ أواخر القُرون الأولى في قمعها للحرّيّات الدِّينيّة. فلمْ تخرج الفلسفة كما نظّر لها القدّيس أوغسطين عن عِلم اللاّهوت، غير أنّ ذلك لا يعني خُلو الفِكر المسيحيّ من أدلّة أخرى شرَّعت لقمع الحرّيّات الدِّينيّة، فاُعتبرت عقيدةُ الخلاص أيضًا ذريعةً بها برّر الآباء والأباطرة اضطهاد المارقين. وأخذ المسيحيّون «يُبشرون بنظريّة مؤداها أنّ الخلاصَ لا سبيل إليه إلاّ عن طريق الكنيسة الكاثوليكيّة وحدها، وروّجوا للإيمان بأنّ الّذين لا يذعنُون للكنيسة ويعتقدُون بصِدقِ نظريّاتها تُحيط بهم اللّعنة لا محال، فأفضى هذا الاعتقاد إلى الاضطهاد والتّنكيل بكلّ من أبى الإذعان إلى الكثلكة واعتُبرت الهرطقة أعظمَ خطيئة، وأضحى إنقاذُ الدُنيا من أعداء الله واجبا مُقدّسا، والاتصاف بالفضيلة لا ينهض عُذرا للمروق فالطفل على براءته وخُلو ساحته من الخطايا، متى مات من غير تعميدٍ قضى بقيّة حياته في جهنّم فبالطبيعيّ بعد هذا أن يُستهدف المتّهمون بالمُروقِ بأشدِّ صُنوف العذاب»[50].

47- **ماني والمانويّة:** المانويّة تعليم دِينيّ يعودُ إلى القرن الثّالث الميلادي اعتُبرت في الماضي هرطقة من الهرطقات، بل شيّعة مسيحيّة. ولكنّها في الواقع ديانة مستقلّة ومن النّمط الغنوصيّ. أخذت من المسيحيّة الزرادشتية والبوذيّة. وُلد ماني في عام (216مـ) وتُوفي في سجن جنديسابور في عام (277مـ) فقطع الجلادون رأسه وعرضوه على أحد أبواب المدينة. **ينظر في:** لويس صليبا، **قاموس الفلسفة المسيحيّة، اللاهوت الكاثوليكي مصادره وفلاسفته**، ط3، جبيل– لبنان، عنوان السلسلة: مكتبة توما الأكويني معلّم معلّمي الكنيسة 8، الناشر: دار ومكتبة بيبليون، 2016، ص363-364.

48- **يقول القدّيس أوغسطين في اعترافاته:** إنْ اعترف المانويون بأنّك في كليتيك، أي في جوهرك، غير قابل للفساد فأقوالهم فاسدةٌ، منبوذةٌ، وانْ قالوا انّك تفسد يخطئون ويُلامون على هذا اللؤم، أجل حسبنا شجبًا لمن يلزمُ طرحُهم، مهما كلّف الأمر لأنّ حديثهم وتفكيرهم المعروف يُوقعهم حتما في خطيئة انتهاك القدِّسيات قلبا ومنطقا...وسعيت جاهدا كي أتفهّم تفهّما صحيحا الرأي القائل في إرادتنا هي علّة شُرورنا ومنذئذ أدركت أنَّ أصل الشّر كامنٌ فيَّ. أمّا الأعمال الّتي أوتيتُها، مُرغما فقد شعرت بنفسي أنّي مُنفعلٌ بها لا فاعلُ واستنتجتُ أنَّ لا وجود فيها للخطيئة بل هي عقابٌ عادلٌ تُنزله فيَّ وهذا ما كنتُ اعترِف به حالاً لنفسي. **ينظر في:** القدّيس أوغسطين، **اعترافات القدّيس أوغسطين**، ترجمة الخوري يوحنا الحلو، ط4، بيروت- لبنان، دار المشرق، 1986، ص123- 124.

49- توفيق الطويل، **قصّة النزاع بين الدِّين والفلسفة**، ص81.

50- توفيق الطويل، **قصّة الاضطهاد الدِّينيّ في المسيحيّة والإسلام**، ص73

5- الاضطهاد الدِّيني في القُرون الوُسطى:

أ: المجامع المسكونيّة ودورها في التشريع للاضطهاد الدِّيني.

ناهيكَ عن الأدلّة اللاّهوتيّة الّتي ذاع صِيتها مع بعض الفلاسفة واللاّهوتيّين، فقدْ لعبت المجَامع أيضا دورا مهمّا في تكرِيس الاضطهاد في الفِكر الدِّيني المسيحيّ إبّان قُرونه الوسطى. فما من مجمع ينعقدُ إلاّ وتمخّضت عنه تعاليم وإجراءات جديدة في المُعتقد المسيحيّ. والنّاظرُ في تاريخ المسيحيّة يلحظُ انعقاد عدّة مجامع على مرِّ تاريخها، ففي القرن الخامس الميلاديّ عُقِدت مجَامع أدَانت بعض الحركات الّتي اُتّهمت بالمُروق والخُروج عن تعاليم الكنيسة. ومن أكثر هذه المجامع[51] شُهرةً نذكرُ مجمع أفسس عام (431مـ) إذْ عُقد هذا المجمع لمُناقشة بطريك القسطنطينيّة، نسطور(386-451مـ) Nestorius حول إنكاره لألوهيّة يسوع وإنكار أنْ يكون للإله أمّ بشريّة. ومن أكثر المجامع شُهرةً نذكر مجمع خلقيدونيّة الّذي عُقِد في سنة (451مـ). وفي النّصف الأوّل من القرن السّادس الميلاديّ بدأ الأباطرة في تكريس الاضطهاد الدِّيني عمليّا من ذلك قيام الإمبراطور جيستنيان(482-565م) Justinien «باضطهادِ الوثنيّة ومُطاردة أتباعِها فأصدر أمرهُ عام (529مـ) بإغلاق مدارس الفلسفة جميعا وتوارت من الوُجود جامعة أثينا[52]. وبإغلاق جامعة أثينا الّتي كانت آخر معقل للوثنيّة في اليونان «سادَ عصرُ الظلمات والجهل في كلّ المنطقة الأمر الّذي دفع العُلماء إلى نفي أنفسهم في بلاد فارس»[53]. لقد غابت جامعة أثينا من الوُجود وبغيابها غاب معها علمٌ كثير وعُلماء كثيرون. وعلى غِرار القدِّيس أوغسطين والملك جيستنيان، فقد نهض الآباء بتقنين هذه المُمارسات حيثُ

51- عملت المجامع الكنسيّة على تطور العقائد المسيحيّة وتغيّرها عبر الزّمن كما عملت على ظُهور فرق مُختلفة، نتيجة لاختلاف رجال الدِّين حول القرارات التي تصدرها المجامع، وتوالى عقد المجامع الكنسيّة عبر القُرون التّالية لعصر قسطنطين، وفي كلّ مرّة ينعقدُ أحدها يتمخضُ عنه قرارات ملزمة بتغيير لعقيدة مسيحيّة أو إضافة أخرى وهذه أهمّ المجامع الّتي عقدت عبر التاريخ:

مجمع أفسس عام (431 مـ): عُقد هذا المجمع لمُناقشة بطريك القسطنطينيّة، نسطور، حول إنكاره لإلوهيّة يسوع وإنكار أنْ يكون للإله أمّ بشريّة، بحُجّة أنّ ما يُولد من الجسد فهو جسد، وما يُولد من الرّوح فهو روح، وأمّ يسوع ولدت يسوع كإنسان. وقد أقرّ المجمع أنّ ليسوع طبيعة ومشيئة إلهيّة واحدة. وأنّ أمّه العذراء ولدتهُ كإله، وبالتّالي فيجب أن تُدعى أمّ الإله. وكان من نتيجة ذلك أنْ أعلنت الكنيسة القسطنطينيّة انشقاقها عن عقيدة كنيسة روما وأصبح هناك عقيدتين للمسيحيّين حول المسيح: عقيدة كنيسة روما تؤمن بأنّ يسوع إله وأمه أمّ الإله، وهي العقيدة الّتي عُرفت فيما بعد بالكاثوليكيّة. وعقيدة كنيسة القسطنطينيّة التي تؤمن بأنّ يسوع إنسان وُلد من امرأة ولكنّه أداة للقدرة الإلهيّة، وهي العقيدة التي سميّت بالأرثوذوكسيّة.

مجمع أفسس الثاني عام(449مـ): وأهمّ قراراته تمثلت بإعلان أنّ ليسوع طبيعتين، واحدة إلهيّة (لاهوت) وأخرى بشريّة (ناسوت) وقد امتزجا معا، وبالتّالي فجسده ليس مُساو لأجساد البشر.

مجمع خلقيدونية عام (451مـ): ومن أهمّ قراراته إلغاء قرارات المجمع السّابق، واعتبار أنّ ليسوع طبيعتين ومشيئتين، إلهيّة وبشريّة. تلا ذلك خلافٌ آخر بين الكنائس حول الإيمان بالرّوح القدس كثالث الثّليث، والمضاف لقانون الإيمان المسيحيّ حيث أضافت الكنيسة الأرثوذوكسية عبارة: أنّ الرّوح القدس منبثقٌ من الأب. بينما أضافت الكاثوليكيّة عبارة: أنّ الرّوح القدس منبثقٌ من الأب والابن. فأصبح هناك عقائد مسيحيّة مختلفة. **ينظر في: ابن قرناس، المرجع السّابق ص156-157.**

52- توفيق الطويل، **قصّة النزاع بين الدِّين والفلسفة**، ص82.

53- زينب عبد العزيز، **المرجع السّابق**، ص60.

شرّع البابا «غريغوريس الأوّل[54]» (540-604مـ) Grégoire Ier إلى مُمارسة الاضطهاد الدِّيني بإرساله «خطاباً طويلاً إلى حاكم إفريقيا لدى الإمبراطوريّة الرُّومانيّة في الشّرق يحثّه على القيام بعدّة حُروب تهدف إلى تنصير شُعوب الأراضي المحتلة بالقوّة»[55].

ولقد استمرت الكنيسة الغربيّة خلال القُرون الوسطى في فرضها لمبدأ الإكراه الدِّيني بالقوّة، غير أنّها قد استراحت نسبيّاً من القرن السادس إلى حُدود القرن التّاسع ميلاديًّا بعد أنْ قلّت فيها عبادة الأوثان «فلم تشعر إبّانها بحاجتها إلى مُزاولة الاضطهاد إلاّ في حالات نادرة لأنّ المبدأ الّذي صاغته قد أذعن لهُ النّاس في الإمبراطوريّة الواسعة طولاً وعرضا»[56]، فلم يتعرض الهراطقة والملاحدة إبّان تلك الفترة إلى المُلاحقة، ولعلّ ذلك يُفسّر بتراجع أعداد الخارجين عن الدِّين نتيجة الإجراءات الصّارمة الّتي اُتّخذت في حقِّهم، فلم يعد وُجودهم يمثل خطرا على الكنيسة مثل ما كان عليه الأمر في السّابق، غير أنّ ذلك لم يدُم طويلاً فسُرعان ما فشت الهرطقة من جديد في المُحيط الاجتماعيّ خلال أواخر القُرون الوسطى فترتّب عن ذلك اتِّخاذ إجراءات جديدة ضدّها. وهذه الإجراءات قد كانت فاتحةً من خلالها وقع التّمهيدُ تدريجيّا إلى تأسيس محكمة التّفتيش المقدّسة الّتي ستجعلُ من عُقوبة الإعدام عقوبة مشروعة، مثل ما ستجعلُ من التّعذيب الجسديّ وسيلةً لانتزاع المعلومة من المتّهم.

عندمَا انتصفَ القرن الحادي عشَر ميلاديّا انتشرت الهرطقة، وفشت الحركات الإلحاديّة[57] من جديد في المحيط الاجتماعيّ، فوقع استخدام السِّلاح الدّنيويّ في مُعاقبة المُلحدين والخارجين عن الدِّين. فعددُ الخارجين ازداد تدريجيّا فقرّر البابا ليو التاسع بين سنتي(1048-1054م) Léon IX، إنزال «قَرار الحرمان من رحمة الكنيسة على الخارجين عن الدِّين ويقصد العقيدة الكاثوليكيّة في روما الّتي يُشرف عليها البابا الّذي لا يخضعُ لسيادة أحدٍ منْ أباطرة ومُلوك روما الغربيّة. ويُلاَحظُ هُنا أنَّ عام (1054مـ) هو عام الانشقاق الأكبر

54- **غريغوريس الأوّل(540-604مـ)**: وُلد عام(540مـ)واعتلى السّدة البابويّة(540-604مـ)، سليلُ عائلة ارستقراطيّة مسيحيّة عريقة، كان صاحب فضلٍ كبير في تثبيت البابويّة في الغرب وفي إقامة علاقات بين الكنيسة والممالك البربريّة كان شعار غريغوريس: إنّ ارث الكنيسة ملكٌ للفقراء. عمل طيلة حبريّته على تحقيق أهداف ثلاثة: الدّفاع عن ايطاليا ومقاومة تيار السيمونيّة الذي انتشر بين الإكليروس. ترك مجموعةً ضخمة من الرّسائل بلغت 868 رسالة وإلى جانب هذه الرسائل له عددٌ من المواعظ والتّفاسير. **ينظر في**: لويس صليبا، **المرجع السّابق**، ص258.

55- زينب عبد العزيز، **المرجع السّابق**، ص70.

56- توفيق الطويل، **قصّة الاضطهاد الدّيني في المسيحيّة والإسلام**، ص 75.

57- من أشهر الحركات التي اتّهمت بالهرطقة خلال القُرون الوسطى يُمكن أنْ نذكر:

- **البوغوميليون:** نسبةٌ إلى كاهن كان يُدعى «بوغوميل» عاش في القرن العاشر ميلاديّا. وتذكرُ بعض الكتب بأنّهم نشروا عقيدتهُم في بيزنطة بالذّات، حيثُ جرى إحراق أحد قادتهم (بازيل البلغاري) حيّا في ميدان الخيل في عام (1118مـ) بأمرِ من الإمبراطور. ويقال بأنّهم كانوا هراطقة ثنويّين وينسبُون إلى الشّيطان خلق العالم وكانوا يرفُضون العهد القديم ولا يُعطون عجائب المسيح إلاّ معنى رمزي. وفي رواية أخرى يُحكى أنّ هرطقتهم كانت في البداية ثنويّة ثمّ أصبحت بعد ذلك وحدانيّة. **ينظر في:** ج ويلتر، المرجع السّابق، ص109- 110.

- **الكاتاريون:** إنّ كلمة Cathareتأتي من اليُونانيّة Catharos، أي نقيّ، ويبدو أنّها دلّت في البدء على الكاملين في بعض البدع الشرقيّة. بلغت هذه الهرطقة أوجها في النّصف الثّاني من القرن الثّاني عشر ميلاديّا. وقدْ كانت هذه العقيدة تنقسم إلى اتجاهين: الاتجاه الأوّل، وهو ثنويّ تماما، كان يعتبرُ الشّيطان باقيّا للأبد؛ والثّاني، هو وحدانيّ بالأحرى، كان يقول أنّ الشّيطان، وهو ملاك ساقط، سيجري القضاء عليه ما أن ينتهي العالم المادي...وخلال مجمع لاتران أدان اسكندر الثّالث عقائد الكاتاريّين وأمر بمُلاحقتهم. **ينظر في:** ج ويلتر، **المرجع السّابق**، ص 115 وما بعدها

بين الكنيسة الشرقيّة الأرثوذكسيّة في القسطنطينيّة، ويتولّى أمرها بطريك القسطنطينيّة وللإمبراطور سيّادة عليها والكنيسة الغربيّة الكاثوليكيّة في رُوما ويتولّى أمرها البابا ولا يخضعُ لسيّادة أحد في غرب أوروبا من ملوك وأباطرة»[58].

وفي بدايات القرن الثّاني عشر ميلاديّا تزايد عدد المُلحدين في أوروبا. «فأضَافت الكنيسةُ إلى قرار الجِرمان وُجوب نفي المُلحدين أو سجنهم»[59]. وعلى غِرار أدلّة القدّيس أوغسطين فقد وقع الاعتماد على أدلّة فلسفيّة ولاهوتيّة أخرى أهمّها ما جاء عند القدِّيس أنسلم (1033-1109مـ) Anselme[60]. إذ ذاع صيتُ أدلّته اللاهوتيّة في القرن الحادي عشر الميلادي، كما دعت الكنيسة إلى التّأكيد على ما ورد، «في مجموعة قوانين جيستنيان من إدانةٍ للهراطقة والحكم عليهم بالموت»[61]. وقد ردّد الآباء والأباطرة تلك الاحتجاجات اللاهوتيّة وتتالت المؤتمرات المُنعقدة حول الهرطقة، ففي سنة (1163مـ) عُقد مؤتمر تور برئاسة البابا اسكندر الثالث (ت1181مـ) Alexander III للقضاء على المانويين جنوب فرنسا[62].وقد تقرّر على إثره «تكليف الأساقفة والأمراء الإقطاعيّين باتّخاذ أقصى درجات الحيطة والشّدة في مطاردة المانويّين الّذين انتشروا كالإخطبوط في الغرب»[63].

وتتالت المجامع الكنسيّة الّتي عُقدت بشأن المُروق عن الدّين ففي سنة(1184مـ) انعقد مجمع فيرونا برئاسة البابا لوسيوس الثّالث (ت1185مـ)Lucius III، والإمبراطور فريدريك بارباروسا[64] (1123-1190مـ Frédérik Barberousse)، فأجمعا «على مُطاردة المُلحدين ونفيهم ومُصادرة أملاكهم وهدم بيوتهم وسلب حُقوقهم المدنيّة، وكُلِّف رجال الدِّين بالتّفتيش عن أفراد هذه الجماعات بمُساعدة ((العيون)) للقبض

58- محمود سعيد عمران، **حضارة أوروبا في العصور الوسطى**، كلية الآداب – جامعة الإسكندرية، دار المعرفة الجامعيّة، 1998، ص321.

59- محمود سعيد عمران، **المرجع السابق**، ص321.

60- **أنسلم(1033-1109مـ):** راهب في دير Bec منذُ السّابعة والعشرين من عمره. تولّى رئاسة دير Bec بين عامي(1078-1093مـ) ولكنّهُ دخل في صراع مع ملك أنكلترة بسبب حقُوق الكنيسة وصلاحياتها فغادر انكلترة وأقام في رُوما. واستمّر في المنفى حتّى(1106مـ). مؤلفاته عديدة وفكره يُهيمن على النصف الثاني من القرن 11. وتكمنُ أصالتهُ الكُبرى في منهجيّه في الإيمان الباحث عن الفهم. استخدم العقل والمنطق في دراسة الوحي، فكان السّابق للمنهجيّة المدرسيّة. وتأثير أنسلم على الأكويني كبير.أراد أنسلم أن يعطي للعقيدة طابعا عقليّا، ليس بهدف المُحاجة بلْ للتأمّل، فهو يؤمن ليفهم ويريد أنْ يفهم ليُحب. من أبرز مؤلفاته: لم صار الله إنسانا، المونولوجيون، في الإيمان بالثالوث والتّجسد، في الحقيقة، في حريّة الاختيار...**ينظر في:** لويس صليبا، **المرجع السّابق**، ص57-58.

61- اسحق عبيد، **محاكم التفتيش نشأتها ونشاطها**، ط1، دار المعارف، 1978، ص14.

62- بُشرى محمود الزوبعي، **محاكم التفتيش الاسبانية 1480-1516**، زهراء للنشر، دت، ص 23.

63- اسحق عبيد، **المرجع السّابق**، ص40.

64- **فريديك باربروسا (1123-1190مـ):** هو أحد الأباطرة الّذين حكموا المملكة الرّومانيّة. تميّز بالنّضال من أجل سيادة ألمانيا، وعُرف خاصّة في مواجهة البابويّة. تمّ انتخاب فريدريك إمبراطورا في سنة (1155مـ) وفي وقت لاحق عملَ جاهدا لتوسيع قوّته من خلال تنظيم قُوى الإمبراطوريّة منْ أجل توحيد مُقاطعة ألمانيا. قامَ بسلسلة لا تحصى من الحمالات ضدّ شمال ايطاليا. تُوفي أثناء الحملة الصليبيّة الثالثة حيثُ مات غرقاً في نهر قيليقية. (1190مـ). **ينظر في:**

FLinn,Frank.k, Frederick Barbarossa, Encyclopedia of world religions encyclopedia of Catholicism, Library of Congress Cataloging –in –publication –Data, 2007, p294.

عليهم وكلّ من يتهاون أو يقصّر في هذا الأمر يُعرض نفسهُ لقرار الحرمان لذاته، والقطع لأملاكه»[65]. وقد عمل لوسيوس الثّالث بالاتفاق مع فريدريك بارباروسا على تنظيم محكمة التّفتيش البابويّة بالاستفادة «من تجارب السّلطة المدنيّة الأوربيّة في القرن الثّاني عشر في مُحاسبتها الخارجين عن القانون»[66]. وقرّر إمبراطور ألمانيا هنري السّادس Henri VI(1165-1197) في حدُود سنة (1194م) «أنْ يُنزل بالضّالين أشدّ أنواع العِقاب، وأنْ تُصادر جميعُ مُمْتلكاتهم وأصدر إتو الرابع سنة (1210م)، ولويس الثامن، مَلك فرنسا سنة (1226م)، ومدينتا فلورنس (1227م) وميلان (1228م)، مراسيم شبيهة بمرسوم هنري»[67]. ويبدو البابا أنّ إنوست الثّالث Innocent III(1160 -1216م) قد عمل بدوره على تقويّة حركة الاضطهاد لاسيّما «عندما وجدت الكنيسة نفسها مُضطرّةً إلى إيجاد قوانين تُنظِّمُ وُجود نوع من هذه المحاكم، فاتجه في سنة (1198م) إلى الدّعوة لإحياء القانون الرّوماني القديم، ليستند إليه المُشرِّعون الأوائل الّذين نظّموا محاكم التّفتيش أوّل مرّة على أسُس قانونيّة ثابتة وطبقا لذلك أصبحت الهرطقة مُرادفة للخيانة، حيث يُدانُ المتّهمُ وتُصادر أملاكه وأراضيه ويُحال إلى السّلطة المدنيّة لتنفيذ الحكم، ومع بداية القرن الثّالث عشر جرى التّنسيق بين الكنيسة والسّلطة المدنيّة بشأن تنفيذ الأحكام بحقِّ المارقين وحُدِّدت العُقوبة بإعدام المارق حرقا»[68].

وتأسيسا على هذه القرارات الّتي اتّخذها الآباء والأباطرة، بدأت بوادرُ نشوء محاكم التّفتيش تظهر تدريجيّا. «ففي عام (1209م) أصدر مجلس أفينون Avignon قرارًا دعا فيه القساوسة إلى مُطالبة السّلطة المدنيّة باستئصال الهراطقة، وهدّد البابا إنوست الثّالث كلّ أمير يرفضُ الاستجابة لهذه الدّعوة بإصدار قوانين الحرمان ضدّه، وبعد ستّة أعوام(1215م) قرّر مجمع لاتيران أنْ يُقسم كلّ حاكم يطمع في أنْ يكون في عداد المؤمنين بأنْ يُجاهد ما وسّعه الجهاد، حتّى يستأصل منْ إقليمه من تُسمِّهم الكنيسة بالهرطقة»[69] ووقع تكليفُ السّلطات الزمنيّة بتنفيذ العُقوبة بحقِّ المارقين، ولقد طُبق هذا النّظام في كلّ مِن فرنسا وايطاليا[70].وكان من أهمّ النتائج الّتي تمخض عنها مجمع لاتيران تأكيدُ «وُجود كنيسةٍ واحدةٍ وجامعة للمؤمنين لا خلاص لأحد خارجٍ عنها»[71]. كما وقع اتّخاذُ عدّة تدابير ضدّ الهراطقة (الكاتار) الّذين انتشروا في جنوب فرنسا ممّا أدّى

65- اسحق عبيد، **المرجع السّابق**، ص40.

66- بُشرى محمود الزوبعي، **المرجع السابق**، ص25.

67- ويل ديورانت، **المرجع السّابق**، ص94.

68- بُشرى محمود الزوبعي، **المرجع السابق**، ص25 -26.

69- توفيق الطويل، **المرجع السابق**، ص76-77.

70- بُشرى محمود الزوبعي، **المرجع السابق**، ص22-23.

71- المجمع اللاتراني الرّابع المسكوني الثاني عشر، الفصل الأول، الإيمان الكاثوليكي، تحديدات إيمانيّة في وجه الالبيجيّين والكاتار. **ينظر في:** دنتسنغر – هونرمان، **الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها**، ترجمة المطران يوحنا منصور والأب حنا الفاخوري، ط1، الجزء الأول، بيروت- لبنان، منشورات المكتبة البوليسية، 2001، ص276.

إلى شنّ جُملة من الحمالات تجاههم وقد عُرفت بالحملة الصليبيّة على الألبجيّين الّتي لم تتوقف إلاّ في حدود سنة (1229مـ).

ب: نشوءُ محاكم التفتيش المُقدّسة(1232مـ)

واضحٌ أنّ الكنيسةُ قد عمِلت جاهدةً على توظيفِ أصحاب السّلطة الزمنيّة في خدمة تعاليمها والتّمكين لإرادتها، وأخذت تتعقبُ الهرطقة في مخابئها السِّرية على أنّ محاكم التّفتيش لم تُباشر نشاطها بصفة رسميّة إلاّ في عهد «غريغورا التّاسع»[72] Grégoire IX(1241-1170)، والإمبراطور فريديريك الثّاني(1194-1250مـ Frédéric II)[73]. وبذلك نستطيع أن ننسُب محاكم التّفتيش الّتي ظهرت في النِّصف الأوّل من القرن الثّالث عشر ميلاديّا إلى البابا غريغورا التّاسع الّذي أصدر مرْسُومًا بابويّا في حُدود سنة (1232مـ)، اتّفق فيه مع الإمبراطور فريديريك الثّاني على تأسيس محكمة التّفتيش المقدّسة فجعَلاَ «التّعذيب بالنّار مُمارسةً منظّمة ضدّ الهراطقة والمرتدّين»[74]. وتولّى الإمبراطور فريديريك الثّاني التّشريع للقوانين القاضيّة «بإهدار دمّ المُلحدين ومُصادرة أملاكهم وإحراق غير المرتدّين إلى الدِّين وسجن من تاب وعاد إلى اعتناق دينه وأعدم من عاد فارتدّ مُلحدا»[75].

والظاهر أنّ القوانين الّتي سنّها فريديرك الثّاني قد كانت من أكثر القوانين تشدّدا[76] في تاريخ القُرون الوُسطى، وبناءً على ما تقدّم لنا من مُعطيات يُمكن الجزم أنّ إنشاء محاكم التّفتيش بصِفة رسميّة قد تمّ عند الاتّفاق بين السّلطتين الزّمنيّة والرّوحيّة، ويتجلّى ذلك بوضوح خُصوصا عندما أدخل غريغورا التّاسع «سنة (1231م) في قانون الكنيسة الشّرائع الّتي سنّها فريديرك الثّاني في عام (1224م) وبذلك اتفقت الكنيسة والدّولة على أنّ الضّالين الّذين لا يتوبُون عن ضلالهم خونةٌ يجِب أنْ يُعاقبوا بالإعدام، وبهذا أُنشئت محكمةُ التّفتيش رسميّا تحت سُلطان الباباوات»[77]، وجعلت الإعدام حرقا عُقوبةً لكلّ منْ يُجاهر بالمروق عن التّعليم الكنسيّ. وقوي نشاط الاضطهاد تدريجيًّا خاصّةً عندما قررّ البابا إنوسنت الرّابع (1195- 1254م)

72- **غريغورس التّاسع(1170-1241م):** بابا روما: (1227-1241) أحد أقوى الباباوات في القرن الثالث عشر الميلادي. دافع عن امتيازات الكرسي الرّسولي. نشب بينهُ وبين الإمبراطور فريديريك الثاني نزاعٌ شديد أدّى إلى حرمان الإمبراطور من شراكة المؤمنين مرتين(عام1227-1239). انشأ محكمة التّفتيش المُقدسة في حدُود سنة (1231م).**ينظر في:** منير البعلبكي، **المرجع السّابق**، ص299.

73- **فريديريك الثاني (1194-1250):** رأسَ الإمبراطورية الرّومانيّة المقدّسة(1220-1250). كان ملكا لصقليّة بين سنتي (1198-1250) تميّز عهدهُ بالصّراع مع البابويّة من أجل السيطرة على ايطاليا. حاول توحيد ألمانيا وايطاليا.قاد الحملة الصليبيّة السادسة(1228-1229).توّج نفسه ملِكا على القُدس. **ينظر في:** منير البعلبكي، **المرجع السابق**، ص324.

74- حسن بن خميس القرواشي، **المرجع السّابق**، ص 415.

75- توفيق الطويل، **المرجع السابق**، ص80-81.

76- كان أشدّ قوانين الاضطهاد هو القانون الذي سنّه فريديرك الثاني فيما بين عامي و(1220-1239مـ) وقضى أنْ يسلّم الضّالون الذين تحكم عليهم الكنيسة إلى اليد الزمنيّة- أي إلى ولاة الأمور المحليّين- وأنْ يحرقوا أحياءً، فإذا ما رجعوا عن ضلالهم نجوا من الموت وحُكم عليهم بالسّجن مدى الحياة، ثمَ صودرت جميع أملاكهم، وحُرم ورثتهُمْ من ميراثهم، وظلّ أبناؤهم محرُومين من حقّ الاختيار إلى أيِّ منصب ذي دخل أو كرامة، إلا إذا كفّروا عن ذنب آبائهم بالتبليغ عن الضّالين. وقضى القانون بأنْ تحرق بُيوت الضّالين ولا يعاد بناؤها قط. **ينظر في:** ويل ديورانت، **المرجع السّابق**، ص94.

77- ويل ديورانت، **المرجع السّابق**، ص 96.

Innocent IV في حُدود سنة (1252م) جعْلَ التّعذيب الجسديّ ذريعةً ووسيلةً لانتزاع المعلُومة من الضّالين[78]. وقد تفنّنت محاكم التّفتيش المقدّسة في استخدام طرائق التّعذيب إزاء من وقع رجمُهم بتُهمة الإلحاد والهرطقة، وتذكرُ كتب الدّارسين والمؤرخين أنّ من أشهر وسائل الإكراه البدني الّتي وقع اعتمادُها في تعذيب المُدانين، قد اشتملت على «الكي بالنّار أو الجلد أو السِّجن الانفرادي في مكان ضيق أو وضع أقدام المتهم في النّار»[79]. ولقد كانت عُقوبة من يتمسّك بخطيئته بعد أنْ جحد عقيدته تتمثّلُ في تسليمه إلى السّلطة المدنيّة لتطبّق عليه حكم الحرق[80]، الّذي كان يُنفّذ في ميدان المدينة أو الإقليم. وعمِلت الكنيسةُ بدورها جاهدةً على تعزيز تلك الإجراءات فجرّمت الإلحاد وحرّمتهُ واعتَبرته «أكثر شرًّا من الإسلام أو اليهوديّة؛ لأنّ المُسلمين واليهود إذا عاشوا داخل المُجتمع المسيحيّ فهم يخضعون لنظام صارم. أمّا الملحدُ، فهو خائنٌ يختفي داخل المُجتمع المسيحيّ ويهدمهُ من الداخل ومن الصعب البحث عنهُ[81].

وقدْ عمِل الآباء على تقنين هذه المُمارسات الّتي قام بها الأباطرة، وعزّز عُلماء اللاّهوت ذلك بتبريرِ هذه الأوضاع لاهوتيّا، فأضافوا الشّرعيّة على ما قام به الآباء، وتعتبرُ مؤلّفات القدّيس تُوماس الأكويني صرحًا لاهوتيًّا اعتمدتهُ الكنيسة ذريعةً في تشريعها لقمع كلّ حركة ارتداديّة وإلحاديّة؛ إذ تولّى الأكويني تبرير الإجراءات الّتي حدّدتها السلطة الروحيّة والسلطة الزمنيّة، وهي إجراءاتٌ قضت بإحراق المتهمين بالهرطقة من المسيحيّين ومُعاقبة المسلمين واليهود. «ولقد ميزّ الأكوينيّ في خُلاصته اللاهوتيّة بين الكفر والهرطقة والارتداد. أمّا الكفار، فلا ينبغي أن يكرهوا على الإيمان[82]؛ لأنّ الدخول في الإيمان مسألة حرّية شخصيّة. أمّا الهراطقة، فيجبُ قتلهم واستئصالهم من عالم الحياة بالموت العاجل؛ لأنّهم ينشرون عدوى الهرطقة في الجماعة الكَنسِيّة، و«لئن كانت الكنِيسة لا تقومُ بالقضاء على المُبتدعة عاجلاً بل بعد الإنذار مرّة وأخرى، فإنّها إذا يئست من هداية المُبتدع توّجهُ عنايتها الى خلاص غيره فتفصِلهُ عنها بقضاء الحرم ثم تتركهُ ليستأصل من العالم بالموت إذ ينبغي قطع اللحم الفاسد وطرد النعجةِ الجرباء من الحظيرة حتّى لا تسري عدوى الهرطقة إلى جُملة البيت وسائر الجمهور والبدن والقطيع»[83]. وشدّد الأكويني على ضرورة مُعاقبة المرتدين عن الدّين؛ لأنّه إذا كان الدّخول في الإيمان أمرٌ من أمور الإرادة مُتعلقا بالضمير، فإنّ البقاء فيه أمرٌ اضطراري ليس متعلقا بالضمير فحسب، وإنّما مرتبطٌ بالحفاظ على وحدة الجماعة الكنسية، فالمرتدون عن المسيحيّة ينبغي أن يعتبر فيهم أمران أحدهما من جهتهم، والثاني من جهة الكنيسة. «فالأمر المعتبر

78- كان القانون الرّوماني القديم يُجيز الالتجاء إلى التّعذيب للحُصول على الاعتراف ولم تكنْ هذه الطريقة تُتبعُ في المحاكم الأسقفيّة أو في السنين العشرين الأولى من سني محاكم التّفتيش غير أنّ إنوسنت الرّابع (1252)أجازها حيث يكون القضاة واثقين من جرم المتهم، ثمّ أجازها من جاء بعده من الأحبار. **ينظر في: ويل ديورانت، المرجع نفسه، ص100.**

79- محمود سعيد عمران، **المرجع السّابق**، ص 326.

80- ج ويلتر، **المرجع السابق**، ص131-132.

81- محمود سعيد عمران، **المرجع السابق**، ص 322.

82- حسن بن خميس القرواشي، المرجع السابق، ص415.

83- توماس الأكويني، الخلاصة اللاهوتية، القسم الثاني، الجزء الثاني، المبحث الحادي عشر، الفصل الثالث، ص520.

من جهتهم هو الخطيئة التي لم يستوجبوا بها أن يفصلوا عن الكنيسة فحسب، بل أن ينفوا من العالم بالموت لأنّ فساد الإيمان الّذي به تقوم حياة النفس لأفظع جدًّا من تزييف الدّراهم الّتي هي قوام الحياة الزمنيّة»[84]. وهذه التّرسيمة الفكريّة الّتي كرّسها لاهوت تُوماس في عقليّة الآباء والأباطرة سيترتّبُ عنها إشعالُ المحارق ضدّ المُرتدّين والملاحدة طيلة قُرون شدادٍ، حيث ردّد الآباء طيلة قُرون تعاليمهُ الّتي تُبيحُ استعمال التّعذيب الجسديّ والإكراه البدنيّ، «فبالرغم منْ اعترافه بحرّيّة من يرغبُ في الانضمام إلى دين يسوع واعتناق مذهبه، فإنّه لا يعترفُ بهذه الحرِيّة لمنْ يروم مُغادرته»[85].

وتأسيسا على لاهوت تُوماس الأكويني، لمْ يسلم العُلماء من الاتهام بالكُفر والإلحاد، حيثُ أُحرقت الكثير من الكتب الرِّياضية والفلكيّة. وعملِت الكنيسةُ جاهدةً على مُطاردة أتباع نظريّة الفيلسوف الفلكيّ نيكولاس كوبرنيكوس (1473-1543م)Nicolas Copernic ولئنْ كان الموت قدْ أنقذ كوبرنيكوس من الجلدِ والتّعذيب، فإنّ أتباع النّظريّة الكوبرنيكيّة لمْ يسلموا من ذلك، فاُعتبر الفلكيّ الشّهير غاليلي (1564-1642) Galiléeمُلحدا تائها في الضّلال بعد أنْ صرّح في نظريته الشهيرة أنّ الأرض ليست مركزا للكون. لقد صُودرت كُتب غاليلي وأحرقت، وأهين الرّجلُ إهانةً كبيرةً جعلتهُ يركعُ أمام محاكم التّفتيش المقدّسة، ويتراجع عن هرطقته القائلة بدوران الأرض حول الشّمس. وعلى غرار الكُتب الفلكيّة والرِّياضيّة، فقد عمل أصحابُ السّلطة الزّمنيّة بإذن من السّلطة الرّوحيّة على حرق الكُتب الفلسفيّة، فحرّمت الكنيسة قراءة كتب الفلاسفة، ومنهم ذكرا لا حصرا الفيلسوف رينيه ديكارت (1596-1650م)René Descartes، فبعد وفاتِه أصدرت الكنيسةُ أمرا في حُدود سنة (1664م) بإحراق كُتبه وبفهرستها في قائمة الكُتب المحرّمة.

وعلى غِرار حرق كتب الفيلسوف ديكارت، فقدْ ضيّقت الكنسيةُ من بعدها على عددٍ كبير من الفلاسفة، إذْ كانت نظريّاتُهم الفلسفيّة من وجهة نظر الكنيسة لا تعدو أنْ تكون سوى مُجرّدَ هرطقات لا يُمكن التّسليمُ بها بتاتا، لا لأنّها مجردّ نظريات فلسفية فقط، بلْ لأنّها تتعارضُ مع تعاليم الكنيسة، فلم يسلم على سبيل المثال لا الحصر الفيلسوف جان جاك روسو (1712-1778م) Jean Jacques Rousseau الّذي عُرف بإنكاره للوحيّ واللاّهوت. لقد ضيّقت الكنيسة على روسو، وجعلتهُ يتنقلُ من مكان إلى آخرٍ خوفا من الجلدِ والتّعذيب بالنّار. وقدْ ظلّت هذه التّرسيمة الفكريّة الّتي كرّسها عُلماء اللاّهوت راسخةً في عقليّة الآباء لقرون عديدةٍ استمرّت إلى حُدود المجمع الفاتيكانيّ الأوّل الّذي أدان بدوره الحرِّيّة الدِّينيّة في لائحة عُرفت بلائحة الأضاليل مع جِبريّه البابا بيوس التّاسع (1792-1878م)Pie IX. ولن «تكره الكنيسةُ على ضرورةِ قُبول الحرِيّات الدِّينيّة على الأقل بصفة عامّة إلاّ خلال المجْمع الفاتيكاني الثّاني»[86]، ولنْ يتغيّر موقفُها بصفة

84- توماس الأكويني، المصدر السابق، ص520.

85- حسن بن خميس القرواشي، **المرجع السابق**، ص592.

86- محمّد الطالبي، **ليطمئن قلبي قضيّة الإيمان**، ط2، تونس، سوتيميديا للنشر والتوزيع، 2017، ص176

جذريّة إلاَّ مع حبريّة البابا يوحنا الثالث والعشرون (1881-1963م) Jean XXIII عندما أعلن في رسالته العامّة» أنّ الإنسان الضائع في الخطأ يبقى كائنا بشريّا، ويُحافظ على كرامته كشخصٍ، وهي كرامةٌ لا بُدّ من احترامها دائما وأبدا، كما أنّ الكائن البشري لا يفقدُ بتاتا قوّة التحرّر من الخطأ، وشقّ طريق الحقيقة«[87].

ولئن اعترفت الكنيسة بكرامة الإنسان في فاتيكان الثّاني وأعلنت «أنّ البشر أجمعين مؤمنين كانوا أمْ غير مُؤمنين أنْ ينكبوا على بناء هذا العالم في العدل[88]، فإنّ موقف الآباء بعد حِبريّة البابا يُوحنا الثالث والعشرون القصيرة، قدْ كشف عن رفض الإلحاد بتاتا فأُعتبر الإلحاد مأساةً[89]، ومن واجب الكنيسة الشّعور بتلك المأساة، وعملت بناءً على ذلك على رذل[90] الإلحادِ والتّركيز على الأسباب المؤديّة إلى ذلك، ولمْ تتمكن من التّخلص من موقف الإدانة التّقليدي رغم انفتاحها على العالم، وظلّ موقفُها من الإلحاد والحرِيّة الدِّينيّة موقفا مُزدوجا لم يخلُ من شُبهات ترذلُه.

خاتمة

أفضى بنا البحثُ في قضيّة الحرِيّة الدِّينيّة في تاريخ الفكر المسيحيّ إلى جملة من النتائج أهمها نختزله في النقاط التاليّة:

- لمْ يكن حكم المرتدِّين والهراطقة والملاحدة أمرًا مُقتصرًا على الدِّيانات التّوحيديّة فحسب، بل وُجدت قوانين يونانيّة ورُومانيّة قديمة أدانت الخُروج والتجديف على الآلهة. وغير بعيد عن ذلك اعتمد الفكر المسيحيُّ في مُعالجته لقضيّة الرِّدّة والكفر والهرطقة على أدّلةٍ من العهدين القديم والجديد، ثمّ قوّى قانون الاضطهاد باعتمادِه على القانون الرّوماني القدِّيم خاصّةً عندما فشت الحركات الهرطوقيّة والإلحاديّة في المُجتمع أثناء القرون الوسطى، والظاهرُ أنّ اضطهاد المُرتدين والملاحدة قدْ كان مُلتبسًا بمبرِّرات اجتماعيّة

87- يوحنا الثالث والعشرون، **الرّسالة العامّة، في السلام بين الأمم كلِّها سلام أساسه الحقيقة والمحبّة**، عالية- لبنان مطابع قرطباوي، ص32، ملحق جريدة الشراع عدد865 بتاريخ63/5/1

88- المجْمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، **دستور رعوي حول الكنيسة في عالم اليوم**، القسم الأوّل، الفصل الأوّل، موقف الكنيسة من الإلحاد، نقلها إلى العربية الآباء: (يوسف بشارة، اغناطيوس عبده خليفة اليسوعي، فرنسيس البسري) بيروت لبنان، منشورات المطبعة الكاثوليكية، 1979، ص55

89- اعتبر البابا بُولس السّادس في رسالته العامّة الأولى في كنيسة المسيح أنّ حُجج المُلحدين تتسِمُ بسمة القلق ومن واجب الكنيسة البحث في الأسباب المؤدية للإلحاد، فلمْ يقع الاعترافُ بالإلحاد ضمنيّا، فأعتُبر الملحدُ بناءً على ذلك كائنًا تائهًا في الضّلال تتسِمُ حُججهُ بالقلق والشّهوة نحو التّسلط والسِّيادة. لقد دعا بولس السادس إلى ضرورة البحث في الأسباب المؤدية للإلحاد واعتبر أن حُججهم المُتّسمة بالقلق تحتاجُ في كلّ حال من الأحوال إلى مبدأ الحياة الإلهيّة لإخراجهم من القلق الّذي هُم فيه غارقون. **يقول بولس السادس:** إنّ حُجج الإلحاد المُتّسمة بسمة القلق والمُلونة بألوان الشّهوة والخيال- ولكنّها غالبًا ما تكونُ سخيّةٌ أيضًا- يُوحي بها حكم بالعدالة والتّقدم، تنزعُ إلى غايات اجتماعيّة مؤهلة إنّها موادٌ بديلةٌ عن المُطلق والضّروري، تكشفُ عن الحاجة المحتُومة إلى المبدأ الإلهيّ وإلى الحياة الإلهيّة، الّتي يعودُ لسُلطتنا التّعليميّة أنْ نتبيّن بصبر وبحكمة سُموّها ومُلازمتها للطبيعة البشريّة. **ينظر في:** البابا بولس السادس، **الرّسالة العامة الأولى، في كنيسة المسيح**، ترجمة غير رسمية، د ت، ص40

90- رفض الآباء خلال المجمع الفاتيكاني الثاني إدانة الإلحاد بصفة صريحة فوقع استعمال فعل (رذل) بدل فعل (أدان) حيثُ ورد في الدّستور الرعوي الكنيسة في عالم اليوم: لا تستطيعُ الكنيسة بما أنّها أمنية لله والإنسان معا إلاّ أنْ ترذُل بحزن وبمنتهى الشّدّة كما فعلت في الماضي هذه التّعاليم وهذه التصرفات المشؤومة الّتي تُعاكس العقل والاختبار العام وتحطّ من قدر الإنسان ومن نُبله الموروث. **ينظر في:** المجْمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، **دستور رعوي حول الكنيسة في عالم اليوم، المرجع السّابق، ص57**

بالأساس ربّما تفسرُ بتعرّض الفكر المسيحيّ بدوره للاضطهادِ، خاصّة وأنّه قد شهد بعض الحركات الارتدادية في بداياته وأهمّها الّتي كانت مع جُوليان المرتد الّذي عمل على إصدار جُملةٍ من الإجراءات لم تكن لا في صالح المسيحيّين ولا في صالح وحدة الجماعة الكنسيّة.

- لمّا انتشرت الحركات الإلحاديّة في القُرون الوسطى قوّت الكنيسة من مبدأ الاضطهاد فتحالفت مع السّلطة الزمنيّة لقمع كلِّ حركة ارتداديّة والحاديّة، وكان من بين أشهر القوانين اضطهادًا ما سنّه فريدريك الثّاني بالاتفاق مع غريغورا التّاسع. ولقدْ مهّد هذا الاتفاق تدريجيًا لنشوء محاكم التّفتيش المُقدّسة الّتي جعلت التّعذيب بالنار وسيلةً لانتزاع المعلومة من المتّهم، وجعلت عِقاب كلّ من تثبت عليه التّهمة الموت حرقًا، وقدْ جارى عُلماء اللاّهوت تلك الأوضاع فبرّروها لاهوتيّا، وكان أشهرهم القدِّيس تُوماس في خلاصته اللاّهوتيّة.

- لقد لعب عُلماء اللاّهوت دورًا مهمًّا في تبرير اضطهاد الملاحدة والمُرتدين في القُرون الوسطى. ومن بين أشهر الاحتجاجات اللاهوتيّة ما ورد عند القدّيس أوغسطين والقدّيس أنسلم. أمّا أشهر القوانين اضطهادًا نذكرُ ما أصدره البابا غريغورا التاسع (1170-1241) بالاتفاق مع الإمبراطور فريدريك الثاني (1194-1241) وبموجبه وقع تأسيس محكمة التّفتيش المقدّسة. وقد عمل عُلماء اللاّهوت على تبرير هذه الإجراءات الّتي اتّخذها الآباء والأباطرة في حقِّ الهراطقة والملاحدة والمُرتدِّين. وكان من أشهر الاحتجاجات اللاهوتيّة ما ورد في كتاب الخلاصة اللاهوتيّة للقدِّيس تُوماس الأكوينيّ الّذي اعتبر أنّ مسألة الخروج من الإيمان مسألةٌ متعلقةٌ بالأساس بالضرورة الاجتماعيّة.

- يبدو أنّ تحجير القدِّيس توماس الأكويني للحرِّية الدِّينيّة تحجيرٌ اجتماعيٌّ قلبًا وقالبًا؛ لأنّ الخطايا المميتة في لاهوت الفلسفة التوماويّة هي خطايا تتمرّد ضدّ الشريعة الإلهيّة وضدّ الشريعة الإنسانيّة وضدّ الحقِّ العام والمجتمع. فكلّ خطيئةٍ هي من ناحيّة شخصيّةٍ، ومن ناحيّةٍ أخرى اجتماعيّة؛ أي إنّ لها تأثيرها على المُجتمع، ومهما تكن الخطايا الّتي يقترفُها الإنسانُ خطايا شخصيّة، فلابدّ أن يكون لها تأثيرٌ سلبيٌّ على المجتمع وعلى الجماعة الكنسيّة. وعندما تنحدرُ النفس بالخطيئة تنحدِرُ معها الكنيسة. والمرتدون والهراطقة والملاحدة في الفكر المسيحيّ يرتكبُون خطايا ضدّ المجتمع وضدّ الحقِّ العام، لذلك كان من اللاّزم استئصالهم من عالم الأحياء بالموتِ العاجل حتّى لا تنتقل عدواهم إلى سائر الجسدِ الكنسيّ.

قائمة المراجع باللسان العربيّ:

- ✓ إبراهيم، عدنان، حرِّيّة الاعتقاد في الإسلام ومعترضاتها، بحث مقدم كجزء من متطلبات الحصول على درجة الدكتوراه إشراف البروفسور: روديغر لولكار، جامعة فينيا ـ النمسا، معهد الاستشراق، 2014
- ✓ الأكويني، تُوماس، الخلاصة اللاهوتية، ترجمة الخوري بولس عواد، المطبعة الأدبيّة، 1881
- ✓ أوغسطين، القدّيس، **اعترافات القدِّيس أوغسطين**، ترجمة الخوري يوحنا الحلو، ط4، بيروت- لبنان، دار المشرق، 1986
- ✓ البعلبكي، منير، **موسوعة تراجم لأشهر الأعلام العرب والأجانب والقدامى والمحدثين مستقاة من موسوعة المورد**، ط1، بيروت- لبنان، دار العلم للملايين، 1992
- ✓ بولس السادس، البابا، **الرّسالة العامة الأولى، في كنيسة المسيح**، ترجمة غير رسمية، د ت.
- ✓ دنتسنغر – هونرمان، **الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها**، المجمع اللاتراني الرّابع المسكوني الثاني عشر، الفصل الأول، الإيمان الكاثوليكي، تحديدات إيمانيّة في وجه الالبيجيّين والكاتار، ترجمة المطران يوحنا منصور والأب حنا الفاخوري، ط1، الجزء الأول، بيروت- لبنان، منشورات المكتبة البولسية، 2001
- ✓ ديورانت، ويل، قصّة الحضارة، تقديم الدكتور محي الدِّين صابر، ترجمة الدكتور: زكي نجيب محفوظ، ط1، المجلد الرابع الجزء الخامس، بيروت- لبنان، دار الجيل، 1992
- ✓ زيعُور، علي، **أوغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحيّة والفلسفة الوسيطة**، ط1، بيروت- لبنان، دار اقرأ، 1983
- ✓ سعيد عمران، محمود، **حضارة أوروبا في العصور الوسطى**، كلية الآداب – جامعة الإسكندرية، دار المعرفة الجامعيّة، 1998
- ✓ صليبا، لويس، **قاموس الفلسفة المسيحيّة، اللاهوت الكاثوليكي مصادره وفلاسفته**، ط3، جبيل– لبنان، عنوان السلسلة: مكتبة توما الأكويني معلّم معلّمي الكنيسة 8، الناشر: دار ومكتبة بيبليون، 2016
- ✓ الطالبي، محمّد، **ليطمئن قلبي قضيّة الإيمان**، ط2، تونس، سوتيميديا للنشر والتوزيع، 2017
- ✓ الطويل، توفيق، **قصّة الاضطهاد الدِّيني في المسيحيّة والإسلام**، ط1، قسم النشر: الزهراء للإعلام العربي، 1991
- ✓ الطويل، توفيق، **قصّة النّزاع بين الدِّين والفلسفة**، ط1، مصر، الناشر: مكتبة الآداب بالجماميز، 1947
- ✓ عادل تيُودُور خوري ومُسير باسيل عُون، علم الأصول اللاّهوتيّة، ط1، الجزء الأوّل، بيروت- لبنان، منشورات المكتبة البولسيّة، 2000
- ✓ عاشور، سعيد عبد الفتاح، **تاريخ أوروبا في العُصور الوُسطى**، بيروت- لبنان، دار النهضة العربيّة للطباعة والنشر، 1972
- ✓ عبد العزيز، زينب، **الإلحاد وأسبابه، الصفحة السّوداء للكنيسة**، ط1، دمشق– القاهرة، دار الكتاب العربي، 2004
- ✓ عبد المعبود، مصطفى، **ترجمة متن التّلمود (المشنا)**، تقديم محمد خليفة حسن، ط1، الجزء الرّابع، مكتبة النّافذة 2007
- ✓ عبيد، اسحق، **محاكم التفتيش نشأتها ونشاطها**، ط1، دار المعارف، 1978

✓ **عوض، رمسيس، الإلحاد في الغرب، ط1، القاهرة، سينا للنشر، 1997**

✓ ابن قرناس، **مسيحيّة بولس وقسطنطين**، ط1، بيروت- لبنان، منشورات الجمل، 2009

✓ القرواشي، حسن بن خميس، **الفكر المسيحي في مواجهة الحداثة من المجمع الفاتيكاني الأول (1869-1870) إلى المجمع الفاتيكاني الثاني(1962-1965)**، مطبعة علامات، تونس، كلية العلوم الإنسانيّة والاجتماعية بتونس، 2005

✓ القرواشي، حسن، **مدخل إلى تاريخ المسيحيّة**، ط1، تونس، المركز القومي البيداغوجي، 1998

✓ لوريمر، القس جون، **تاريخ الكنيسة**، ترجمة عزرا مرجان، ط1، الجزء الثالث، القاهرة، دار الثقافة المسيحية، 1991

✓ الكتاب المقدّس، ط3، بيروت- لبنان، دار المشرق، 1994

✓ متى المسكين، الأب، القدّيس **بولس: حياته. لاهوته، أعماله**، ط1، القاهرة- مصر، مطبعة دير القدّيس أنبا مقار- وادي المطرون، 1992

✓ المجْمع المسكوني الفاتيكاني الثّاني، **دستور رعوي حول الكنيسة في عالم اليوم**، القسم الأوّل، الفصل الأوّل، موقف الكنيسة من الإلحاد، نقلها إلى العربية الآباء: (يوسف بشارة، اغناطيوس عبده خليفة اليسوعي، فرنسيس البسري) بيروت لبنان، منشورات المطبعة الكاثوليكية، 1979

✓ محمّد حمزة حسين، ولبنى رياض عبد المجيد، **تاريخ أوروبا في العُصور الوُسطى**، ط1، دار ابن الأثير للطباعة والنشر، 2015

✓ محمود الزوبعي، بُشرى، **محاكم التفتيش الاسبانية 1480-1516**، زهراء للنشر، دت..

✓ ويلتر، ج، **الهرطقة في المسيحيّة تاريخ البدع الدِّينية**، ترجمة جمال سالم، بيروت- لبنان، دار الفارابي 2007

✓ يُوحنا، **الثالث** والعشرون، ، **الرِّسالة العامّة، في السلام بين الأمم كلِّها سلامٌ أساسه الحقيقة والمحبّة**، عالية- لبنان مطابع قرطباوي، ص32، ملحق جريدة الشراع عدد865 بتاريخ1/5/63

قائمةُ المراجع باللِّسان الأعجميّ:

✓ Dictionnaire universel François et latin Nouvelle édition revue, corrigé, augmentée, tome premier, imprimé a paris,

✓ **FLinn, Frank. k, Frederick Barbarossa, Encyclopedia of world religions encyclopedia of Catholicism, Library of Congress Cataloging –in –publication –Data,2007**

✓ Sandoz et Fischhbacher, Encyclopédie des sciences religieuses, publiée sous la direction de F.LICHTENBERGER Tome 1, librairie, Paris, 1877

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
www.mominoun.com للدراسات والأبحاث

info@mominoun.com
www.mominoun.com